أوراق في التاريخ الشفوي
قرى فلسطينية مُهجّرة

الحرم - سيدنا علي: للباحثة رشا أبو زيتون

أسدود: للباحث رشاد المدني

الكفرين: للباحثة مليحة طعمة

جائزة العودة
للعام ٢٠٠٧

بديل / المركز الفلسطيني
لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين

أوراق في التاريخ الشفوي

الطبعة الأولى: كانون الثاني ٢٠٠٩

الرقم المعياري الدولي: ٨-١١-٣٣٩-٩٩٥٠-٩٧٨

الافكار والمضامين الواردة في هذه الاوراق تعبر عن وجهة نظر أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مركز بديل.

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز بديل

صور الغلاف: (المصدر: www.palestineremembered.com)

بديل/ المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين
بيت لحم، فلسطين.
ص. ب. ٧٢٨
هاتف: ٠٠٩٧٢٢٢٧٧٧٠٨٦
تلفاكس: ٠٠٩٧٢٢٢٧٤٧٣٤٦
بريد ألكتروني: info@badil.org
صفحة الانترنت: www.badil.org

حول جائزة العودة السنوية *

أطلق بديل/ المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين رسمياً مشروع جائزة العودة السنوية في كانون أول من العام ٢٠٠٦، وذلك بعد سلسلة طويلة من المشاورات الداخلية ومشاورات مع العديد من المختصين وشركاء المركز. والفكرة الأساسية من وراء هذا المشروع، تهدف إلى تفعيل وإطلاق الطاقات الكامنة بين عموم أبناء الشعب الفلسطيني، وتشكيل منبر لكل المُبدعين والمُبدعات من الفلسطينيين المؤمنين بحقوقهم وعدالة قضيتهم ومُصممين على الانتصار لشعبهم، وكذلك لتكون ملتقى وطنياً جامعاً يجمع الفلسطينيين من كل أرجاء العالم، من فلسطين التاريخية والمنافي، حول حق العودة الى الديار.

شملت جائزة العودة للعام ٢٠٠٧ خمسة حقول هي أدب الأطفال، والبوستر، والورقة البحثية، والتاريخ الشفوي، والأفلام القصيرة، وأضيف إليها في العام ٢٠٠٨ حقلا جديدا هو القصة الصحفية المكتوبة. وللتأكيد على الشفافية والمصداقية، فقد قرر مركز بديل الاستفادة من خبرات نخبة كبيرة من خيرة أبناء الشعب الفلسطيني المختصين، من كتاب، وفنانين، وصحفيين، ومخرجين وباحثين وأساتذة جامعات، ليوجهوا مشروع جائزة العودة، وليشكلوا لجان تحكيم مستقلة عن مركز بديل تتولى مهمة إصدار أحكامها بصورة حيادية. وقد وضعت لجان التحكيم فعلا، معايير علمية وموضوعية لتقييم المشاركات وإصدار أحكامها النهائية. وقد تألفت لجنة تحكيم جائزة العودة في حقل التاريخ الشفوي للعام ٢٠٠٧ من كل من الدكتور عادل يحيى، الدكتور مصطفى كبها، الدكتور نايف جراد، الدكتورة سونيا نمر، الدكتور عدنان مسلم، والدكتور عدنان شحادة.

حول هذا الإصدار

يحتوي هذا الإصدار على الأوراق الثلاث الفائزة في جائزة العودة للعام ٢٠٠٧ وهي على التوالي: الحرم سيدنا علي للباحثة رشا أبو زيتون الفائزة بالجائزة الأولى، أسدود للباحث رشاد المدني الفائز بالجائزة الثانية، الكفرين للباحثة مليحة طعمة الفائزة بالجائزة الثالثة.

ويصدر بديل/ المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين هذه الأوراق التزاما بتعهداته المبينة في شروط جائزة العودة الخاصة بحقل التاريخ الشفوي والتي تقضي طباعة ونشر الأوراق الفائزة في الجوائز الثلاث الأولى. وحيث يدرك مركز بديل أن البحث في مواضيع التاريخ الشفوي ذو طبيعة خاصة بما لها من حساسية عالية كونها تتصل بشكل مباشر بأشخاص الرواة، والمروي عنهم، وبوقائع مستمدة من الذاكرة وغيرها، فقد آثر مركز بديل بناء على توصيات أعضاء لجنة التحكيم على قصر عملية التحرير على الجوانب الشكلية والفنية قدر الإمكان. ورغم أن بديل يملك حقوق الطباعة والنشر، إلا انه واحتراما للملكية الفكرية والأدبية لأصحاب الأوراق المنشورة هنا، لم يتدخل في مراجعة أو تدقيق أيا من الأفكار، أو المضامين، أو الأسماء، أو الوثائق، أو الصور الواردة فيها. من هنا يود مركز بديل التأكيد على أن أي خطأ أو نقص أو خلل في العرض، أو التوثيق، أو الاستنتاج هي مسؤولية المؤلف/ة. وعليه، فان كل مؤلف/ة يتحمل وحده/ا المسؤولية القانونية والأخلاقية عن محتويات ورقته/ا.

* للمزيد من المعلومات حول جائزة العودة، أنظر موقع مركز بديل على شبكة الانترنت: www.badil.org

المحتويات

الورقة البحثية الأولى.....ص٧
الحرم سيدنا علي
للباحثة رشا أبو زيتون

الورقة البحثية الثانية.....ص٣٥
اسدود
للباحث رشاد المدني

الورقة البحثية الثالثة.....ص٦٩
الكفرين
للباحثة مليحة طعمة

خارطة قضاء يافا
في الدائرة: قرية الحرم - سيدنا علي

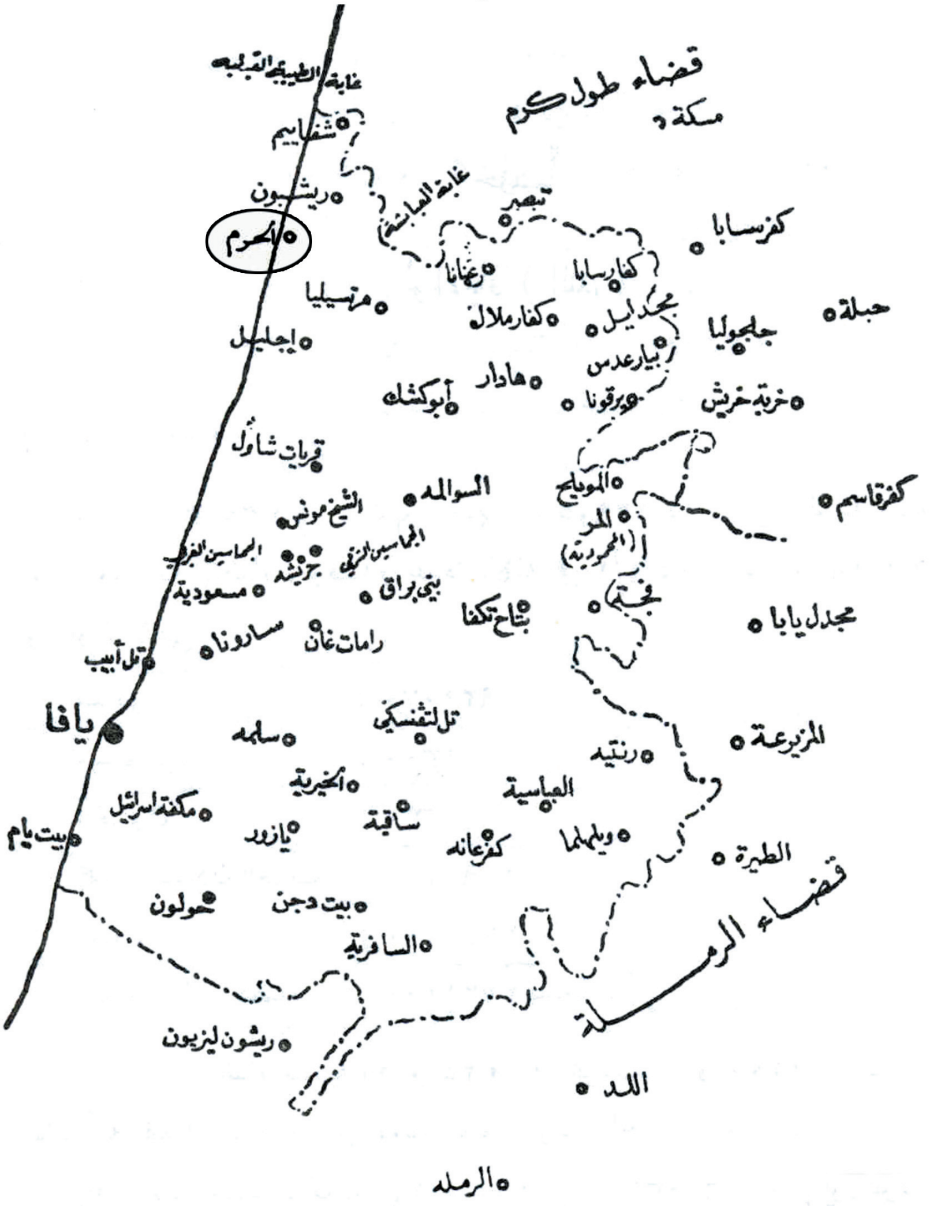

الورقة البحثية الأولى

الحرم - سيدنا علي

رشا عمر أبو زيتون*

المقدمة

"الحرم – سيدنا علي" هي إحدى القرى الفلسطينية المُدمَّرة والمنتشرة على الساحل الفلسطيني. وتقع قرية "الحرم" على مسافة ١٨ كم إلى الشمال الشرقي ليافا، وتصلها طريق معبدة بإجليل الشمالي والقبلي. في العام ١٩٤٥، بلغت مساحة أراضيها ٨٠٦٥ دونما، وقدر عدد سكانها بحوالي ٥٢٠ نسمة.

وفي العام ١٩٤٨، احتل الصهاينة قرية الحرم ودمروها وطردوا سكانها منها وأقاموا على موقع القرية مستعمرة "ريشف" التي تعد حالياً ضاحية من ضواحي مدينة "هرتسيليا"، بالإضافة الى عدد من المستوطنات الأخرى.

محتويات هذا المشروع ليست تاريخاً مُدونًّا ورسميا لهذه القرية، وليس دراسة اجتماعية مُقنَّنة، يقصد منها استخلاص نظريات أو قوانين عملية، وإنما هي مواد أولية قدمها ورواها أهالي الحرم– سيدنا علي، وقمنا نحن بتسجيلها وحفظها وتدوينها، ثم تبويبها وربطها ببعضها بطريقة تحفظ للأجيال القادمة صورة حيّة ومباشرة عن أسلوب الحياة في القرى الفلسطينية في النصف الأول من القرن العشرين، كما تحفظ للباحثين مادة خصبة تساعدهم في إجراء العديد من الدراسات التاريخية والسياسية والاجتماعية والنفسية واللغوية والفلكلورية وغيرها من الدراسات حول المجتمع العربي الفلسطيني قبل عام ١٩٤٨، وحول رواية النكبة ومعاناة وتشرد اللاجئين ونضالهم من أجل العودة إلى ديارهم الأصلية التي اقتلعوا منها.

لماذا ترك أهالي سيدنا علي– الحرم قريتهم وأراضيهم؟ وهل تركوها طوعاً أم قسراً؟ سؤال

---

* **رشا أبو زيتون**: الحائزة على المرتبة الاولى في جائزة العودة في حقل التاريخ الشفوي للعام ٢٠٠٧، عن بحثها "الحرم–سيدنا علي" . باحثة في مجال التاريخ الشفوي من مواليد طولكرم.

رئيسي مطروح وبديهي يتبادر للذهن، وهو ما ستحاول هذه الورقة البحثية الإجابة عليه. وملخصه أن قرية الحرم التي كانت محجا للمنطقة الوسطى والجنوبية من فلسطين وأهلها تركوا القرية قسراً بتهديد العصابات الصهيونية تارة والإرهاب العسكري المباشر تارة أخرى.

ويرجع السبب في اختيار البحث إلى الواجب المقدس الذي يحتم علينا أن نحافظ على موروثنا الحضاري من الطمس والضياع وأن نستحضر ذاكرتنا الوطنية، التي تبين الرواية التاريخية للواقع من على شفاه الناس الذين عايشوها، وللرد على الرواية الصهيونية ومحاولات الدولة اليهودية المحمومة لمحو كل مكان وأثر لفلسطين التاريخية والمحاولات الحثيثة لطمس الهوية الوطنية للأرض والإنسان الفلسطيني.

وقد واجهتنا العديد من المشاكل خلال عملية إعداد البحث ومنها: قلة وندرة كبار السن من الذين عاشوا الحدث أو ساهموا في صنع التاريخ، والظروف السياسية الراهنة التي أصبحت تخلق شكاً وريبة حول زيارة بيوت اللاجئين، وتشتت أهالي قرية سيدنا علي في الوطن وخارجه. هذا بالاضافة الى قلة الوثائق والمصادر الأولية، بل وندرتها، وكبر وشيخوخة وضعف الذاكرة لدى العديد من كبار السن من أهالي القرية والذين كتب لهم البقاء إلى هذا الوقت، وأخيرا، تضارب الروايات في بعض الأحيان مما يقلل من مصداقيتها.

الفصل الأول:

قرية الحرم: جغرافيتها وتاريخها الشعبي

جغرافيتها:

تقع قرية سيدنا علي المعروفة بـ "الحَرَم" على ساحل البحر الأبيض المتوسط، حيث نشأت فوق رقعة منبسطة من الكثبان الرملية الشاطئية، وترتفع فوق سطح البحر نحو ٣٣ مترا.[١] وتبعد الحرم نحو ١٨ كم الى الشمال الشرقي ليافا وتصلها طريق مُعبَّدة بكل من إجليل الشمالي والقبلي وهي الطريق التي تتجه قليلاً نحو الشرق لترتبط بطريق يافا– حيفا الرئيسية المُعبَّدة.

ولقد كانت قرية الحرم من القرى المُميَّزة في قضاء يافا وعُرِفَت قديما بأسماء عديدة منها "أرسوف" على عهد الكنعانيين، و "سيدنا علي" نسبة إلى المَجاهد أبي الحسن علي بن عليل من سلالة عمر بن الخطاب.

وتعتبر قرية الحرم من القرى الصغيرة من قرى قضاء يافا، حيث بلغت مساحة الأراضي التابعة لها ٨٠٦٥ دونما، منها ٣٥٢ دونما للطرق والأودية، و ٤٧٤٥ دونما تسربت إلى الصهاينة.[٢]

ويُعد سهل الحرم جزءاً من السهل الساحلي الأوسط، الذي يمتد من يافا جنوباً حتى جبال الكرمل شمالاً، والذي يكون شكله مائلا كحد السيف لا عوج فيه. وتتميز أراضي الحرم التي هي جزء من السهل الساحلي بالخصوبة حيث أن تربتها حمراء داكنة ممزوجة بالمواد العضوية. وهذه المُميِّزات إذا اجتمعت مع المياه تحقق أهم أسباب نجاح الزراعة.[٣] ويتخلل أراضي قرية الحرم بعض الأودية مثل واد مقميش ووادي الفتحة.[٤]

يعتبر مناخ القرية معتدلا بشكل عام، ماطرا في الشتاء ومعتدلا لطيفا في الصيف، مع ارتفاع في نسبة الرطوبة لقربها من البحر. ويعمل نسيم البر والبحر على تلطيف الجو بشكل عام وخاصة تخفيف درجة الحرارة والجفاف الناتجين عن الرياح الخماسينية عندما تهب على المنطقة قبيل الصيف.

وتعد الأمطار المصدر الأساسي للمياه في المنطقة ويضيع جزء منها بفعل التبخر أما الجزء الآخر، وهو الأكبر، فيتسرب إلى الطبقات الدنيا عبر منافذ الخزانات الجوفية والتي يظهر منها على شكل ينابيع. أما الجزء الآخر من مياه الأمطار فيتجمع في أحواض مياه التصريف

والأودية والمسالك المائية، مثل نهر الفالق، الذي تبدأ معالمه الأولى بالظهور في السهل الساحلي الغربي من قلقيلية، على شكل واد سيلي يتجه نحو الغرب، فالشمال ثم الشمال الغربي، حتى مصبه في البحر الأبيض المتوسط عبر الكثبان الرملية الساحلية. وفي الشتاء، ترتفع كميات مياه النهر وتفيض على جانبه، مشكلة كثيراً من البرك، كبركة رمضان وبركة البصة والمستنقعات التي تم تجفيفها وتحويلها إلى أراض زراعية مع العلم بأن متوسط التصريف السنوي يصل إلى ٨,٥ م مكعب.[٥]

وتطفو المياه الجوفية في منطقة يافا إلى الطبقات العليا إلى مسافة قريبة من سطح الأرض وخصوصاً في منطقة أراضي الحرم والقرى المحيطة القريبة من شاطئ البحر. ويوجد في قرية الحرم "سيدنا علي" الكثير من عيون الماء مثل عين الحاج جبر وعين الزقاق الصغير وعين أرسوف، وكان هنالك بئر لدار الكرم أيضا.[٦] ويقول السيد صبحي عبد القادر أبو سرية، أحد سكان القرية:

> "إذا حفرنا بئراً بعمق مترين في الأرض، يخرج الماء العذب نسقي منه الماشية طوال الصيف ومياه لا تنضب وعندما كان يأتي الشتاء نغلق بابه، وفي السنه التالية نعيد فتحه مره أخرى".[٧]

واعتمد أهالي القرية على بئر موجود في مقام سيدنا علي في الحرم. وتروي الحاجة خضرة محمد عبد الرحيم:

> "كنا نروح نملي ميّه من الحرم كان فيه حنفيات حوالي طناش [١٢] حنفية، وكان نسوان البلد كلهن يحملن الجرار على روسهن، وبعدها صرنا في قلان [أوعية] وننقل على الحمير للدور".[٨]

تاريخها الشعبي:

أجمع جميع من تمت مقابلتهم من أهالي قرية الحرم أن تاريخ القرية يعود إلى فترة حروب صلاح الدين الأيوبي مع الفرنجة، وخاصة في منطقة "أرسوف" التي تقع خرائبها بجوار قرية الحرم، وذلك باسم سيدنا علي نسبة إلى ولي الله المُجاهِد أبي الحسن علي بن عليل المدفون فيها، وهو من أحفاد عمر بن الخطاب المشهور عند الناسِ باسم "علي بن عليم". وله موسم خاص في كل سنة يزوره أهل يافا وغيرهم من سكان المُدن والقرى، وقد بُني فوق مقامِه مسجد تقام فيه الصلوات.[٩]

كان يؤم الحرم في صيف كل سنة، كثيرون من مختلف بقاع فلسطين لزيارة قبر هذا الولي،

فيُقام موسمٌ، يتجمع فيه الزوار ويقدِّمون النذور ويقيمون الموالد ويأكلون ويشربون ويشترون الهدايا التذكارية.[١٠]

ولتاريخ القرية أسطورة وحكاية خيالية يرددها الكبار، وأجمع عليها جميع أهل القرية ممن تمت مقابلتهم، تفيد أن مستعمرة كانت تقوم على الكفر حسب تعبيرهم إسمها "رصوف" وهي فرنجية تقع شمال سيدنا علي. وكان فيها حجارة عملاقة، حيث كان كل حجر بحجم عمارة في ذلك العصر. ويوم زار سيدنا علي المستعمرة، أراد الفرنجة أن يتأكدوا من أن سيدنا علي رجلٌ صالحٌ أم لا، فقاموا بذبح كلب وطبخوه ووضعوه في المنسف ليأكله سيدنا علي، فذاق أول لقمة فعرف أنه لحم كلب فقال: "أخرج يا نجس". فخرج الكلب من المنسف وأخذ ينفض الأرز عن نفسه. ثم أنذر سيدنا علي الفرنجة طالباً منهم الخروج من البلدة خلال ثلاثة أيام وثلث قائلاً: "أنني سوف أهدم البلد عليكم عقاباً لكم". وعند صلاة العصر، توضأ للصلاة ثم عزم على البلدة وضربها بماء إبريقه الفخار فدمرها وكل قلاعها الضخمة قلبت في البحر وتطايرت بعيدا ما يقارب حوالي نصف كيلو متر ومات من الفرنج من مات وهرب من هرب![١١]

وتؤيد المصادر التاريخية أن الولي المجاهد أبو الحسن علي بن عليل له سلالة عريقة في فلسطين ومنها:

أولاً– شمس الدين أبو العون محمد الغزي القادري الشافعي: وُلد في غزة وسكن جلجولية، ثم انتقل في أواخر عمره إلى الرملة وتوفي فيها سنة ٥٩٧ هـ، وهو شيخ السادة القادرية وقد كان مسؤولاً عن الأوقاف. وهو جد آل الفاروقي – الخيري – الناجي وأبو الهدى في الرملة ويافا وغيرها.

ثانياً– الشيخ خير الدين الرملي:[١٢] وهو خير الدين بن أحمد بن علي بن زين الدين عبد الوهاب الأيوبي العليمي الفاروقي الرملي، الإمام المُفسِّر المُحدِّث الفقيه واللغوي، شيخ الحنفية في عصره. والعليمي نسبة إلى علي بن عليم، والفاروقي نسبة إلى الفاروق عمر بن الخطاب، والأيوبي نسبة إلى بعض أجداده. تعلم القرآن الكريم ومبادئ الفقه على يد شيوخ بلدته، ومكث في الأزهر ٦ سنين ثم عاد إلى الرملة، فدرس وعلم ونصح وأفتى وشاعت فتواه في الآفاق، وكانت عنده مكتبة من نفائس الكتب وقد نوَّه بذكرها الرحالة "فولتي" الذي زار الرملة في القرن الثامن عشر.

ثالثاً– الشيخ المُعمر شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد العليمي العمري.[١٣]

رابعاً– العليمي: وهو أبو اليمن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي أبو اليمن مجير الدين قاضي قضاة بيت المقدس،[١٤] نسبة إلى علي بن عليل ومنه إلى الصحابي عبد الله أمير المؤمنين رضي الله عنه، وكان يحب العلم منذ نعومة أظافره وقد سمع كثيرا عن علماء عصره في بيت المقدس والظاهرة التي أقام بها نحو عشر سنين وغيرها وله: "الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل" جمع فيه خلاصة لتاريخ البلدين؛ "المنهاج الأحمدي في تراجم الإمام أحمد"؛ "فتح الرحمن في تفسير القرآن".

خامساً– أبو الهدى العليمي القدسي.

سادساً– عائلة الكلابية من قرية حمامة:[١٥] ويذكرون أنهم من ذرية الشيخ أبو عرقوب المدفون في جامع القرية وأنهم عمريون يتصل نسبهم بعمر بن الخطاب وقد نزح جماعة من العراقيب إلى قرية الحرم "دورا" من أعمال الخليل.

الفصل الثاني:

الحياة الاجتماعية

السكان والحمائل:

قرية الحرم قرية صغيرة في المساحة وعدد السكان، لكنها مُميزة ومشهورة بسبب وجود مقام سيدنا علي فيها. وكانت القرية تدين بالاسلام الديانة الوحيدة في القرية، وبلغ عدد سكانها عام ١٩٠٤م ٣٤١ نسمة، وفي عام ١٩٢٢ انخفض عددهم إلى ١٧٣، وفي عام ١٩٣١ ارتفع العدد إلى ٣٣٣ نفرا لهم ٨٣ بيتا، وفي ١ نيسان ١٩٤٥ قدروا بـ ٥٢٠ عربيا.[١٦]

ومن الحمائل والعائلات التي سكنت قرية سيدنا علي، نذكر: حمولة الكرم، حمولة اليوسف، حمولة أبو سرية، حمولة أبو سمري، حمولة أبو عبية، حمولة عبد الرازق، حمولة النبريسي، حمولة دار أبو رحيم، حمولة الحج جبر، حمولة قنديل، الدهوش، أبو زهرة، أبو راس، أبو حسن الحسين، الطبح، عكاشي، عنبص، وأبو رصاص.

واعتبرت حمولة اليوسف من زعامة القرية ومختارها الشيخ شحادة حسن اليوسف الذي يعتبر من أقدم مخاتير القرية. وكانت الكثير من العائلات والحمائل في الحرم تميل وتؤيد زعامته. كما تولت الزعامة في القرية حمولة الكرم المشهورة بتملكها الكبير للأراضي وكان مختارها توفيق عبد اللطيف الكرم. وكانت في الحرم عائلات تفضل دار الكرم ومختارها، وأخرى تفضل حمولة اليوسف ومختارها الشيخ شحادة.

أما حمولة أبو سرية فتعود أصولها الى صحراء سيناء، وكان لها حضور بارز في البلد ومن أشهر شخصياتها الشيخ عبد القادر أبو سرية الذي اشتهر بنضاله طيلة حياته. ويقول أبو فهمي عبد القادر أبو سرية: "أصل التسمية – أبو سرية– كان أحد أجداده يصيد السمك على البحر فكان تظهر له حورية البحر فسموه الناس أبو سرية".[١٧]

وقد أجمع الرواة الذين تمت مقابلتهم من أهل الحرم، ومنهم صالح عبد الرحمن عبد القادر أن الشيخ نعيم تقوه من أشهر رجالات القرية، حيث جمع العلم والحكمة، وعمل مدرساً في القرية وكرس حياته من أجل إصلاح ذات البين وكان يؤم منزله طلبة العلم.

البيـوت والعمـران:

قسمت قرية الحرم إلى حارتين حسب تواجد العائلتين الكبيرتين: الحارة الفوقا وسكنت فيها عائلة اليوسف وكان مختارها الشيخ شحادة اليوسف، والحارة التحتا لعائلة الكرم ومختارها توفيق الكرم، كما أسلفنا.

وقد خلت البلدة من الخدمات والمرافق العامة باستثناء مدرستها الابتدائية، التي تأسست سنة ١٩٢١. وقد اتخذ مخططها شكلا مكتظا وكان نموها العمراني بطيئا وبلغ مسطح البناء فيها ١٨ دونما. وتواجد في القرية مركز لشرطة الانتداب البريطاني، يخدم فيه رجال من قرية الحرم منهم محمد عارف القاسم وأحمد الياسين، وعبد اللطيف أبو راس وسالم أبو سلام وأحمد الهاشم. كما كان في الحرم طاحونة ومقهى لدار الكرم. ومن أبنية القرية الجميلة "علية" لمصطفى الكرم.

ويوجد في القرية بعض المُغُر الأثرية منها مغارة العُمَرية، وكذلك مغارة العبابشة نسبة إلى سكانها الذين كانوا من قرية كفر عبوش من قضاء طولكرم.[١٨]

وقدر عدد البيوت في قرية الحرم في عام ١٩٤٥ بحوالي ٩٠ بيتا، كانت مبنية بغالبيتها من الطين.

وتقول الحاجة كاملة أبو سرية:

> "سنة ما أخذونا اليهود، كنا بانيين دارنا جديد ثلاث غرف كرميد وقاع دار فيها طابون وجديد كنا قاعدين فيها وبعد شهرين رحلنا".[١٩]

وللبيت مكانة عالية في نفس الفلسطيني لأنها تمثل ما يستره ويستر عائلته ويحضن ذكرياته ويحن إليها إذا غادرها ويتمنى العودة إليها. ويقول الحاج صبحي أبو سرية:

> "يكون البيت في قرية سيدنا علي من العقادية وهي سدِّة على ارتفاع نقول تحت السقف حتى تتسع لخزن الجبن والسمن والبصل والثوم والمؤن الخفيفة".[٢٠]

وهناك "الخوابي" وهي عبارة عن أوعية كبيرة من الخشب لخزن الجبن والسمن والبصل والثوم والمؤن، أما "القطع" فهو جزء مفصول من البيت لتخزين الحطب ومراود في مستوى مصطبة إقامة الأسرة فيها وتقف البهائم على مصاطب أوطأ وتلحق بالبين الزرائب والحظائر.

وبناء البيت عمل جماعي تتحشد له القرية من رجال ونساء لأن البناء دين ووفاء يتعاون الرجال على نقل الحجارة الكبيرة والبناء. ويسمى البيت "العقد" ومهام النساء رصف الأرض بطبقة من التبن وتطين الجدران. ومن أقوالهم في البيت: "يا بيتي يابويباتي، يا مستر عيوباتي، فيك بأكل فيك بشرب وفيك بكبر لقماتي"، "ريت هالبيت يظل مفتوح والحبايب تيجي وتروح"، "فش متل بيتك يالإنسان".

التعليم:

يقول الحاج صابر أبو سمري:

> "في بادئ الأمر لم يكن في قرية الحرم مدرسة، بل كان فيها كتّاب، وأنا كنت أحد تلاميذ ذلك الكتّاب. وكان الكتّاب يهتموا بتعليم اللغة العربية والقرآن الكريم والحساب والإملاء بصورة خاصة. وكان الكتاب في بادئ الأمر في الجامع إللي هو يضم مقام علي بن عليم وكان جامع واسع اهتموا به أهل البلد ونظموه ثم بعد فترة في عهد الانتداب أسست مدرسة في [قرية] الشيخ مونس، فيها شيخ اسمه أبو فاروق من بلدة عنبة قضاء عجلون".[٢١]

بعد ذلك تأسست في القرية مدرسة في العام ١٩٢١، وبلغ عدد طلابها ٦٨ طالباً يعلمهم معلمان وللمدرسة مكتبة ضمت ١٣٢ كتابا.[٢٢] وكان في القرية ١٠٩ رجال يلمون بالقراءة والكتابة. ويقول الأستاذ رمضان أبو زهرة، الذي عمل في المدرسة:

> "هذه المدرسة أنا علمت فيها مع الشيخ نعيم تقوه، إللي أسس المدرسة أهل قرية الحرم تعاونوا مع بعض وجمعوا الفلوس وتبرعات وبنوا المدرسة".[٢٣]

وكان من أساتذة المدرسة المشهورين نعيم تقوه وصبحي عبد الرازق وأبو موسى وأستاذ يطلق عليه لقب "الزاد". وكانت المدرسة للذكور فقط وتدرِّس للصف الرابع فقط، ومن أراد بعد ذلك أن يكمل دراسته كان يذهب إلى يافا. ومن أشهر الطلاب الذين لمع اسمهم وأكمل دراسته في يافا هو "محمد الكرم". لم تكن في الحرم مدرسة لتعليم الإناث، لكن بعض العائلات أرسلت بناتها إلى مدارس يافا ومنهن بنات مصطفى الكرم وبنات الشيخ شحادة اليوسف.

الصحة:

بقيت الحرم كباقي قرى فلسطين ذات مستوى صحي متدني، فلم تحظ بوجود أي مركز صحي أو عيادة طبيب. وأفاد أغلب من تمت مقابلتهم أن أهالي القرية اعتمدوا على الطب

الشعبي في معالجة الوعكات الصحية. أما الأمراض السارية والمستعصية فكانوا يستشفون منها عند أطباء يافا وفي مراكزها الصحية. ووجد في القرية نساء عملن كقابلات (دايات) لمعالجة أمراض النساء والتوليد وعرف منهن حسب الروايات حليمة الناصرية وداية أبو سرية. وتضيف الحاجة فطيمة أبو راس:

"لما يصير مرض في البلد كنا نروح نتداوى في قبنيات [مستوطنات] اليهود".[٢٤] ويقول أهل القرية أنهم لم يشهدوا أمراضا خطيرة معدية في قريتهم معللين ذلك بسبب موقع القرية على شاطئ البحر بالإضافة إلى "بَرَكة" مقام سيدنا علي.

وكان الطب الشعبي بسيطا يجري بقليل من التشخيص وشيء من الوصفات. وذكر لنا أهالي قرية الحرم عن بعض أنواع الأمراض وكيفية علاجها ومنهم سليمان سلامة أبو قنديل،[٢٥] وفهمي عبد القادر أبو سرية،[٢٦] والحاجة كاملة أبو سرية.[٢٧]

الزواج:

تتماثل العادات والأعراف الاجتماعية بالنسبة للزواج في الحرم مع باقي قرى فلسطين وتتشابه هذه العادات والتقاليد في أغلب مراحلها بدء من اختيار العروس وعقد القران أو الخطوبة ثم كتب الكتاب وعقد الزواج ثم ليلة الحناء والتعليلة ويوم الزواج الذي يتوج بإحضار العروس إلى بيت الزوجية. وكان يتم في البداية البحث والتمحيص والمشاورات عند ذوي القربى وبعدها في الحارة أو خارج نطاقها فإن نالت إعجابه أعطى موافقته. وتذهب الأم وأخواته لنقد العروس في بيت والدها، فإن وافقت أم العروس يذهب الرجال إلى والد العروس لطلب يد ابنته. وكانت تقضي العادات والتقاليد أن يستشير والد العروس أقاربه، فإن "تحراها" واحد من أقاربه فيسقط الخيار الأول وكانوا يرددون القول "ابن العم بنزل عن ظهر الفرس". وبعد أن تتم الموافقة ويحدد المهر وقت الخطبة ثم عقد الزواج بواسطة حضور لفيف من الوجهاء. وكانت تحتجب العروس عن خطيبها إلى حين الزفاف.

وقبل ثلاثة أيام من يوم العرس تعم الفرحة بيت العريس بعد أن يكون قد هيأ نفسه وفرش البيت واشترى أهل العروس لأبنتهم كل ما يلزمها من ملابس ومصاغ وأثاث خفيف لبيت الزوجية. وقبل العرس بيوم تذهب النساء بـ "فاردة" يحملن الطيب والعطور ويذهبن يغنين من بيت العريس إلى بيت العروس ويقوم عدد من شباب عائلة العريس إلى بيت العروس ويقوم ومن أجل حمايتهن وعادة ما تكون "الفاردة" في وقت المساء وخلال سيرهن في الشارع كنّ يبدأن بالغناء مفتخرات بنسبهن وحسبهن ويرددن:

"إحنا كبار البلد وحنا كراسيها وإحنا جريد النخل إللي تركزت فيها

ولا تحسبونا من المال كلينا واحنا كبار البلد والشور في ايدينا
ولا تحسبونا من عد المال فلسنا واحنا الكبار البلد العز منومسنا " .[٢٨]

وتقول الحاجة خضرة أبو رحيم:

" كنا نمدح رجال القرية وزعمائها وكان أحيانا يحدث بعض الحساسيات بين حمائل القرية عند ذكر محاسن زعيم الحمولة بالتصريح أو بالتلميح " .[٢٩]

وأما حفلة الرجال، فتستمر التعليلة فكان يتجمعون لركوب الخيل وترقيصها على أنغام الناي واليرغول وتبدأ السباقات بينهم ويجلس الوجهاء وتصب القهوة ويصطف الرجال من على الجانبين ويبدأ الشاعر الشعبي بالقول والغناء فيمدح فيه الرسول (ص) ثم مشايخ القرية وزعمائها ويحيي الضيوف والعازيم من القرى المجاورة. وروى الحاج صابر أبو سمري عن زفة العريس قائلا:

" في صبيحة اليوم التالي تكون زفة العريس، فبعد حمامه في بيته أو في بيت أحد أقاربه أو أصدقائه يزف الرجال وتكون النساء خلفهم وبعد انتهاء الزفة يذهب أهالي القرية والمدعون إلى بيت والد العريس لتناول طعام الغداء " .[٣٠]

وتقول النساء عادة عند أخذ العروس من بيت والدها شاكرات أهلها بقولهن: " يخلف عليكم وكثر الله خيركم ما أعجبنا من نسايب غيركم " . وبعد الزواج بأسبوع تقدم التهاني للعروسين ثم يقدم النقوط.

ويؤكد الرواة انتشار ظاهرة زواج البدل في قرية سيدنا علي. وهو نوع من الزواج قد درج في القرية كغيرها من القرى وخاصة عندما لا يستطيع المقدمين على الزواج توفير المهور التي كانت تستنزف ثروة الأسرة وتدفع الناس أحياناً لبيع جزء من أرضهم مصدر رزقهم شبه الوحيد. ويقال عن هذا النوع من الزواج " راس براس " ، وخاصة عندما تكون العروسين من نفس السن والمستوى.

الأتـراح:

أكبر المصائب عند فقدان الشاب، سواء أكان متزوجا أم أعزب، وتصل قمة الألم والعويل عند خروج النعش من المنزل والميت في القبر وعندها يكون العويل وقد يبكي الرجال المقربين لكن ذلك كان يعتبر عيبا. بعد الدفن يتحرك الرجال نحو بيت العزاء في حين تحيط النساء بالقبر في مناحة كبيرة. وتستمر المناحات ثلاثة أيام لكن الأم يلازمها الحداد طوال العمر غالبا

وتذكر فقدها وتبكي عليه ومن أجله في كل ملطمة قادمة. وفي المناحات تجلس النساء في دائرة ومعظمهن من المصابات، فتبدأ واحدة بالقول والنواح بنوع من الشعر الشعبي يؤدى بصوت حزين رقيق ممدود يثير في النفس الأسى والألم وتكرره وراءها الأخريات. بهذا الصدد، تنقل السيدة فطيمة أبو راس:

"قولي عليه يا قايلة في الحلقة يا شاربه خط القلم في الورقة
قولي عليه يا قايله في اللواحي يا شاربه خط القلم في اللواحي".[٣١]

الأعيـاد والاحتفالات الدينيـة:

يروي الحاج صابر أبو سمري،[٣٢] أن أهالي الحرم كانوا يحتفلون بالعديد من المناسبات والأعياد الإسلامية ومنها، ليالي رمضان. وتترافق مع آذان المغرب وصوت المدفع ساعة الإفطار، حيث تقام الولائم استرحاما لأرواح الموتى. وفي عيد الفطر، تقام صلاة العيد في الصباح ويعطى الأطفال نقودا عيدية. وفي العيد يغتنمون الفرصة لمصالحة المختصمين ويزورون المقابر والمقامات ويأكلون اللحم المشوي والحلوى المنوعة، كالكعك الأبيض والأصفر والمعمول المحشو بالتمر أو الجوز أو المهلبية والزلابية ويتبادلون زيارات التهاني.

ويتشابه عيد الأضحى بعيد الفطر لولا اقترانه بالحج وذبح الأضاحي والحج إلى بيت الله الحرام. ويستعدونها للأضحى أفضل الخراف ويربطونها في ساحة البيت إعلانا لنية التضحية في يوم العيد، ويوزعون لحمها على الفقراء وينشد أهالي القرية:

"يا زايرين النبي خذوني في محاملكم لأني حديد ولا بولاد اثقلكم
أنا خفيف الحمل وأريد المشي معكم وإن كان زادي وزوادي بثقلكم
بصوم لله ويكفيني النظر معكم
يا زايرين النبي معكم جمل هدّار زيدوا عليقه كرامه للنبي المختار"

بالاضافة الى ذلك، كان أهل الحرم يحتفلون بالمولد، ورأس السنة الهجرية، وختم القرآن.

الحج للديـار المُقدسـة:

يروي الحاج صالح عبد الرازق قائلا:

"عندما كان الشخص يبدأ بالطواف على البيوت مودعاً أهل البيت وطالبا منهم المسامحة على ما يكون فرط في حقهم فيجيبونه قائلين روح الله يسامحك دنيا وآخره فيتركهم

مودعاً وشاكراً. وقبل أن يحين موعد السفر بأسبوع يتوافد رجال البلد ونساؤها مودعين ومرسلين تحياتهم إلى الرسول (ص) وتتجمع النساء في ركن من المنزل يغنين أغاني (التحنين) تؤدي بصوت رقيق ممدود فيه مسحه من الحزن وشي من الفرحة فترد فيها مجموعة على أخرى".[٣٣]

وتنقل الحاجة حفيظة يونس حسين قنديل:

"على وين رايح يا كبير العيله — على وين رايح
مين يذبح الذبايح ومين — يحيي الضيوف مين يذبح الذبايح
هللت مكه وقالت مرحبا — بالزايرين هللت مكة وقالت
مرحبا بالشيخ فيكم والتيابين — مرحبا بالشيخ فيكم"
"على بير زمزم توظا النبي — على بير زمزم
في إبريق فظه يظوي — في إبريق فظه
على بير زمزم توظى الرسول — على بير زمزم
في إبريق فظه وشمع يدور في إبريق فظه".[٣٤]

ويستمر الحال على هذا المنوال أسبوعا يستعد فيه الحجاج للسفر، وعندما تدنو ساعة الرحيل يتجمع أهل القرية في ساحة رئيسية منها مودعين بالعنان والتقبيل، أما المقربين والأصدقاء فيسيرون معه إلى مشارف البلد وبعضهم يقطع معهم مسافات طويلة إلى بلاد أخرى ويكون الحاج على جمله والآخرون على دواب أو مشاه. ويسافر مثقلا بالنقوط ويغيب الحاج شهرين أو ثلاثة ويعود كما يقولون ولدته أمه طاهرا نظيفا تائبا عابدا فيستقبله الأهل على مشارف البلد بالزغاريد والعنان ودموع الفرح وبالذبيحة. ويأتي المهنئون ويستمر الحال أسبوعا أو أكثر يلبي الحاج عدداً من دعوات الأهل والأصدقاء على طعام الغداء أو العشاء إذا لم يكونوا قدموا لهم ذبائح بمناسبة العودة سالما ويوزع الحاج هدايا الحجاز مثل سجادة الصلاة وطواقي ودشاديش وعبي وحّطات وعقل وكحل ومكاحل ومناديل بالإضافة إلى التمر أو ماء زمزم.[٣٥]

التقويم الشعبي:

يروي الحاج رمضان أبو زهرة،[٣٦] عن تقسيمات لا تشمل السنة كلها بل تسعين يوما من الشتاء وتسعين يوما من الصيف. فللصيف مربعنية (أو مربعانية) تمتد من العاشر من تموز إلى التاسع عشر من آب تليها خميسينية تنتهي في نحو العاشر من تشرين الأول.

أما مربعينية الشتاء، فتبدأ في الثاني والعشرين من كانون الأول وتنتهي بنهاية كانون الثاني

ويتميز بالبرد الشديد وباحتمال سقوط الثلوج في التلال والجبال. لكن شمسها مرهوبة أيضا إذ أن المربعينية "يا شمس تحرق يا مطره تفرق" و"يا بتربع يا بتبقع". لذا يخلدون خلالها إلى الراحة والسكينة في البيوت، فلا يخرجون إلا للضرورة ويستعدون لها بتخزين المؤن. ويعتمدون كثيرا على أمطار مربعينية الشتاء ولكنهم يجتنبون بعدها بذر أية حبوب ويقولون "ل يطلع الحنون إن ضبّ بدارك يا مجنون".

أما خمسينية الشتاء فتبدأ مع بداية شباط وتنتهي في الثاني والعشرين من آذار وتقسم بدورها أربعة أقسام كل منها اثنا عشر يوما ونصف اليوم:

أولاً- سعد ذابح: مدته أسبوعان بارد من أول شباط إلى الثالث عشر منه وحسب تأكيد الرواة أن أربعة أخوة كانوا مسافرين خلالها، فمات ثلاثة منهم من البرد ولم ينج إلا الذي ذبح ناقته فاختبأ في بطنها ومنه يقولون "سعد ذابح ما خلى ولا كلب نابح".
ثانياً- سعد بلع: ويقولون منه "بلع كل مية الأرض" حتى الخامس والعشرين من شباط وفي هذه المرحلة تبلع الأرض كل مطر يسقط.
ثالثاً- سعد السعود: يقولون "بتدب الميّة في العود" حتى العاشر من آذار وفيها تستعيد النباتات الحياة وتتفتح البراعم.
رابعاً- سعد الخبايا: ويقولون "بتطلع الحيايا وبتفتل الصبايا"، حتى الثاني والعشرين من آذار أي بداية الربيع ويسمونه "الري الصيفي" وهو غير ري المربعينية ويعرفون ذلك من تجمع الماء على وجه الأرض فيقولون "دقت الأرض".

الزي الشعبـي:

لا يختلف زي الرجال والنساء في قرية "الحرم" عنه لدى القرى الفلسطينية الأخرى في الساحل والريف الفلسطيني. فكان الرجال يلبسون الثوب أو القميص والسروال والقمباز (الدماية) والعقال والعباية ومنها (الصيفي والشتوي). وفي الشتاء تلبس فروة وطاقية من الصوف، وكانوا يحتذون حذاء بسيطاً من الجلد دون جوارب. أما النساء فلبسن الحريرية والثوب النعاين المُطرَّز والثوب العادي من القماش الخفيف ومُطرَّز قليلاً والسروال الشنتان. وتلبس على رأسها المنديل الخفيف أو الخرقة أو الشاشه أو الطرحة ويحتذين الكندرة وبابوج، وتكون لديهن البقجة لحفظ الثياب وأيضاً يكون الحرير جزء أساسي لزي النساء.

أما ما تتزين به المرأة من مصاغ، فهو: "الحلّق أو القرط من الذهب على شكل ليره والخواتم والأساور وتكون من فضة أو ذهب وتسمى مباريم والكردان وقلادة الذهب"، وأيضاً هناك أساور ومنها "حيات وسوار الحية على شكل حية ومبرومة سوارة الرباع وسوارة النصاص وسحبه".

الفصل الثالث:

الحياة الاقتصادية

الزراعة:

قرية الحرم من القرى الزراعية المهمة في قضاء يافا، حيث يعتمد معظم سكانها على الزراعة. وتتميز أراضي الحرم بالخصوبة، حيث تربتها الحمراء الداكنة المزوجة بالعضوية وهذه الميزات إذا اجتمعت مع المياه تحقق أهم أسباب نجاح الزراعة وتربية الحيوانات على حد سواء. ويعتبر أهالي قرية الحرم أرض بلدهم لجودتها "كنزاً لا يفنى".

وتعد زراعة الحبوب الزراعة الرئيسية في الحرم، فقد بلغت مساحة الأراضي المزروعة بالحبوب مثل القمح والشعير والحمص والعدس والحلبة في العام ١٩٤٥، حسب السجلات البريطانية، حوالي ٢٠٩٦ دونماً.[٣٧] وكانت الذرة البيضاء والصفراء تحل محل القمح في سنوات الجدب كغذاء أساسي للناس ويصنعون منها "الكراديش".

أما الأراضي المخصصة لزراعة للحمضيات والموز فقد بلغت ١٣٦ دونماً و ٢٥٦ دونما مروياً أو مستخدما للبساتين.[٣٨] وبالنسبة للمحاصيل الزراعية الأخرى، فقد ذكر أهل الحرم أنهم عرفوا زراعة الكثير من الأصناف مثل: الشمام والبطيخ والترمس والفستق والسمسم والتين وكروم العنب والليمون وقصب السكر والتوت والخوخ والتفاح والجميز. هذا بالإضافة الى الخضروات ومنها: البندورة والخيار واللوبياء والفاصولياء والبطاطا والبصل والكوسا.

ومن الأراضي الزراعية المزروعة بكروم العنب في الحرم كانت أراضي أبو حمدية، وأراضي أبو زيتون، وأراضي أبو مرعي، وبيارات سليم الكرم إلى الشمال من قرية الحرم، وأراضي بسط الفالق وهي أراضي مشاع كان أهل الحرم يزرعونها ويستفيدون منها.

كانت الأراضي في الحرم، شأنها شأن القرى الأخرى، توزع بالوراثة وكانت بعض العائلات تمنع بناتها من الزواج مقابل التنازل عن الأرض ولم يكن جميع أفراد القرية يملكون الأرض. ومن أشهر العائلات المالكة في قرية الحرم كانت عائلة الكرم، واليوسف، وأبو سمري، وأبو سرية، وقنديل، وأبو رحيم، وأبو عبية، والطبح، ومرعي، والنبريسي.

وفي حالة تواجد فائض في المحاصيل الزراعية وخاصة في موسم البطيخ الذي اشتهرت الحرم بزراعته، فكان يصدر إلى يافا والقرى المجاورة وإلى المستوطنات اليهودية المجاورة أيضاً. واستخدم أهالي الحرم أدوات زراعية مثل المنجل والمحراث (على الخيول والبغال) والفاس والطورية والريخة (وهي آلة لمسح الأرض وتنظيفها باستخدام الحصان) ودخل التراكتور للبلد

عام ١٩٤٧ وكان يملكه أهالي يافا. وكان للمرأة في قرية الحرم دور بارز في الزراعة وتعشيب الأرض وتنظيفها وعملية الزراعة وجمع الحطب ونقل المياه والحراثة وقطف المحاصيل.

في عهد الانتداب، لعبت السياسة المتبعة دورا كبيرا في تهجير الكثير من الناس وتركهم لأراضيهم بسبب فرض الضرائب الباهظة على الأراضي الزراعية وعلى الفلاحين، كما جرت محاولات من قبل اليهود لشراء أراض في القرية إلا أن معظمها قد باء بالفشل لكن بعضها تسرب لهم بالحيلة والخداع والقوة واستخدم السلاح.

الثروة الحيوانية:

تعد الثروة الحيوانية في الحرم الركيزة الثانية لاقتصاد القرية وتقسم إلى مواشي ودواب. ويفيد أهل القرية أنهم كانوا يملكون ثروة متنوعة وعديدة من الغنم والماعز مما كان يوفر انتاجا كبيرا من الحليب ومشتقاته من اللبن والزبدة وكذلك يستفاد من لحوم صغارها التي تباع في سوق يافا.

ومن كان يملك قطيعاً كبيرا من الأغنام، ومن الإغنياء أيضا كان يستأجر رعاة يقومون على رعي أغنامه. وللدواجن أهمية كبيرة عند أهالي القرية، فكان لكل أسرة ما يكفيها من الدجاج والحمام والبط والإوز والحبش وما يزيد عن حاجتها يباع في أسواق يافا.

أما باقي أنواع الدواب سواء أكانت خيولا أو ثيرانا أو بغالا أو جمالا أو حميرا فكان يستفاد منها لحراثة الأرض ونقل المنتوجات الزراعية والركوب والسفر إلى المناطق النائية، حيث كانت هذه وسيلة النقل الوحيدة.

التجارة والعمل:

انتشرت التجارة العامة في قرية الحرم مقارنة ببعض القرى المجاورة، بعد تطور طرق وسائل المواصلات ما بين الحرم ويافا. وتضاربت روايات أهل القرية ممن تمت مقابلتهم في حصر عدد الحوانيت، فقيل أنها عشرة حوانيت وروى آخر بأنها كانت أقل من ذلك. وكان من أصحاب هذه الحوانيت التالية أسماؤهم: أبو شاكر الطاهر، عبد الجبار عبد القادر، دكان أبو زيد، دكان الحاج جبر، دكان أبو عبد الرازق، دكان الطبح، ودكان أبو حسن الحسين.

يقول الحاج عاهد عنبص،[٣٩] ويؤكد عليه رمضان أو زهرة:[٤٠]

"لقد دأب أهالي الحرم على تصدير منتوجاتهم الزراعية والصناعية إلى سوق يافا، ومنها

المنتوجات الحيوانية من لبن وجبن وسمن. أما التجارة الخارجية فلم تكن تتعدى مواسم مُحدَّدة في السنة مثل تجارة البطيخ الذي تجاوز أسواق يافا حيث وصل بعض التجار الفلاحين الكبار إلى أسواق نابلس والناصرة والقدس".

وعرفت في الحرم حرفاً عديدة ومنها حرفة "الحلاقة" ومن أشهر الحلاقين في سيدنا علي هو عودة اليوسف وأبو شاكر الطاحون. وكان يوجد في القرية مقهى وحيد تملكه عائلة الكرم، وكذلك وجد فيها الحلاسون والنجادون والحدادون وخاصة الحدادة العربية، ويذكر الرواة أن معظم من كان يعمل في الحدادة هم من "النَوَر". أما النجارون فقد انتشروا بكثرة في قرية الحرم لتلبية حاجة القرية للنجارة اليدوية واشتهر منهم أحمد الذياب. وتروي الحاجة فهيمة أحمد ذياب، أن ولدها كان يقوم بصنع الأبواب والمغارم الخشبية والنمليات وعربات تجرها الحمير والخيول (التك) والسلالم وصناديق لنقل الخضروات (السحارة).[٤١]

ووجدت في الحرم أيضاً بعض الصناعات الخفيفة مثل "صناعة الفخار" التي وجدت من زمن بعيد على شاطئ الحرم، حيث تتوفر المواد الأولية لصناعة الفخار سواء أكان رملاً أو جيراً أو تربة، إلا أن صناعته بالطرق البدائية اليدوية لم تكن مربحة كثيراً. وكانت النساء تقوم بصناعة أطباق وصواني من القش وقصب القمح مثل القبعات و"اللجون" والترويج.

جدير بالذكر، أن سياسة الانتداب البريطاني الاقتصادية الهادفة الى تخريب العمل بالزراعة عن طريق فرض الضرائب الباهظة أدت بأعداد واسعة من الفلسطينيين ومنهم سكان الحرم إلى الانتقال للعمل في ميناء يافا، أو في أماكن أخرى ومنهم من عمل في خدمة حرم سيدنا علي وآخرون في الشرطة في معسكرات الانتداب البريطاني، ومنهم: أحمد الهاشم وأحمد ياسين وسالم أبو سلامة وعبد اللطيف أبو راس.

كما عمل قسم من أهالي الحرم في الصيد، ومنهم: محمد الدوش والشيخ نعيم تقوه وكانوا يصطادون بواسطة الصنارة أو الشباك الصغيرة لكن البعض كان يلجأ أحيانا لاستخدام طرق أخرى. فيروي أحمد الدوش:

"والدي كان يصطاد السمك برمي أصابع الديناميت وعندما أخطأ ذات مرة انفجرت بين يديه مما أدي إلى تقطيع أصابع يديه".[٤٢]

وتروي الحاجة خضرة محمد أبو رحيم:

"بقينا نعمل صواني السمك بالفرن منها الصريدة والسلطان إبراهيم ونقلي الفسيخ، بقت هذي أكلات أهل البلد الغني قبل الفقير، وبقت ريحة البلد كلها سمك مشوي بالطابون".[٤٣]

وسائل النقل والمواصلات:

أفاد عدد من أهالي الحرم أنهم استخدموا الدواب لترحالهم وتجوالهم ونقل متاعهم ومنتوجاتهم، وكانت أسفارهم إلى خارج قريتهم والذهاب إلى أعمالهم ومزارعهم تتم بواسطة الدواب. ثم تطور الوضع بعد أن أصلحوا الطرق وأزالوا العوائق والحجارة الكبيرة منها، وأخذوا يستخدمون العربات التي تجرها الخيول والبغال والحمير لنقل وتسويق الخضار واستخدم منهم القوارب الشراعية الصغيرة "الشخطورة" للترحال والسفر إلى القرى الساحلية، لكن هذه العادة انقطعت لعدم وجود ميناء في الحرم.

وتصل قرية الحرم طريق مُعبدة باجليل الشمالي والقبلي تتجه قليلا نحو الشرق بطريق يافا – حيفا الرئيسة المُعبدة.[٤٤] ويذكر الرواة أن موقع القرية شجع البعض على اقتناء وسائل مواصلات حديثة كالشاحنات ثم تليها حافلات الركاب. وعُرف من أصحاب الشاحنات مصطفى الكرم وتوفيق الكرم بالاضافة الى تواجد شاحنات أهل يافا في الحرم لتحميل الخضروات والبطيخ من القرية.

الفصل الرابع:

السياسة، الحروب والهجرة

النكبة والتهجير:

ساد قبل حرب ١٩٤٨ وضع مشوب بالحذر والترقب وأخذت شوكة اليهود ونفوذهم يتناميان في المنطقة، وأخذوا يوطدون دعائم مؤسساتهم العسكرية والاقتصادية، ونشطت مؤسسة ("الكيرن كييمت" – الصندوق القومي اليهودي) في الاستيلاء على الأراضي العربية وسيطرتها على الأراضي التي تمت مصادرتها من قبل الجيش البريطاني والتنسيق المستمر بينهما. وتقول الحاجة خضرة محمد أبو رحيم في هذا الصدد:

"لما بدت الصهاينة في محاولة استملاك بعض الأراضي في الحرم قام المرحوم البطل جميل الكرم وحسين الشحادة وأحمد الأشقر ورجل بدوي اسمه الكنود وعبد القادر أبو سرية وصاروا يلاحقوا سماسرة الأراضي".[٤٥]

وهو ما أسهم بشكل رئيسي في الحد من تسرب الأراضي لليهود. وتذكر بعض المصادر الفلسطينية، بأن أملاك اليهود في قرية الحرم بلغت حتى عام ١٩٤٨ نحو ٤٧٤٥ دونماً.[٤٦]

وأرادت العصابات الصهيونية السيطرة على مراكز الشرطة البريطانية. ويقول عمر عبد الهادي:

"هاجموا اليهود مراكز الشرطة الانجليزية في القرية وكان في المراكز قوات عربية قدروا يطردوا اليهود ويتغلبوا عليهم".[٤٧]

وفي ثورة عام ١٩٣٦ كان للمناضلين في قرية الحرم حضور بارز في زراعة الألغام في طريق الانجليز واليهود. ويضيف عمر عبد الهادي:

"أجا الانجليز وجمعوا النسوان والاطفال في مقام سيدنا علي والرجال في الساحة ودخلوا على البيوت وكانوا يقوموا بخلط الرز بالسكر والطحين والزيت وتدمير المنازل في التفتيش عن السلاح وعن المناضلين اللي كانوا في القرية".[٤٨]

ووضع اليهود عددا من الخطط لمهاجمة القرى والمدن العربية في منطقة يافا واعتمدوا في تنفيذ ذلك على فرق مُدرَّبة خاصة تقلد العربي وتتقن العربية وتجيد اللبس والزي العربي

أطلق عليها فيما بعد بـ "الفرق المستعربة". ومن هذه الأعمال يروي لنا صبحي أبو سرية قائلا:

"كان يهودي في القرية متخفي أطلق على نفسه الحاج مسلم فكان يدخل المسجد ويصلي وحاول كسب ثقة أهل البلد حتى جمع المعلومات عن البطل جميل الكرم، وبعد ذلك اغتالته قوات الغدر الصهيوني".[٤٩]

قام اليهود بأعمال الإرهاب والتدمير منها تسميم الخيول والأبقار والمواشي وتفجير مضخات الماء. ومنذ عام ١٩٤٧ بدأ الناس يشعرون بخطورة اليهود، وحول ذلك تروي الحاجة خضرة محمد أبو رحيم:

"كانت عائلة القتيشي تسكن جلجولية [قرب قرية الحرم] وهذه العائلة كان عندهم عرس. جوز أبو إبراهيم أولاده الثلاثة وعزموا اليهود. أجا اليهود وحضروا العرس وتغدوا مع الناس وحضروا التعليلة وبعد هيك أجا اليهود ونادوا أبو إبراهيم قالهم تفضلوا قالوله: الوقت متأخر بس انسينا ننقط العرسان راح أبو إبراهيم جاب أولاده الثلاثة فقام اليهود بقتلهم كلهم ومع أبوهم. وبعد هذه الجريمة النكراء قام رجال البلد وخاصة المجاهدين بزرع ألغام فانفجرت فيهم وبعد ذلك قام اليهود بدخول القرية من البحر لأن أهل البلد كانوا يقومون بحراستها ولم يتمكنوا من ذلك".[٥٠]

ويروي الحاج صابر أبو سمري:

"بعد ما زرع المناضلين الألغام، بعث الانجليز وراء المختار وهددوه. وكان لديه شاحنة، جمع جميع أغراضه ورحل عن القرية. وعندما شعر الناس برحيل المختار رحلت الكثير من العائلات من البلد".[٥١]

وبعد أن بقي نصف سكان القرية، قام اليهود بممارسة الضغوطات عليهم من أجل الرحيل فحاصروا القرية ومنعوا دخول المؤن إليها، ورفضوا بيعهم أي شيء. ويقول رمضان أبو زهرة:

"راحت أمي تشتري من قبنيات [مستوطنات] اليهود خبز فرفضوا أن يبيعوها وبعد ذلك جمعنا أغراضنا ورحلنا وتركناها لليهود بعد كل هذه المضايقات وأصبحنا لاجئين".[٥٢]

المستعمرات اليهودية على أراضي الحرم:

هرْتسليا: تقع في الشمال من يافا على الخط الحديدي بين يافا وتل أبيب وحيفا،[٥٣] وتبعد

عن الأولى ٩ كم، وتقع في الجنوب الشرقي من قرية الحرم– سيدنا علي، وعلى بعد ٤ أميال عنها. بنيت هرْتسِليا في ٢٣ تشرين ثاني ١٩٢٤، ودُعيت بذلك نسبة إلى تيودور هرتسل. وتعتبر اليوم مدينة ومن المراكز الصناعية والزراعية بين المدن اليهودية وتسميها العامة اليهودية "ريفيرا اسرائيل". وكان يسكنها بتاريخ ٨ تشرين ثاني ١٩٤٨ حوالي ٤٦٩٣ يهوديا.

نوف يام: تأسست عام ١٩٤٦، وهي اليوم ضاحية من ضواحي هرْتسِليا.

تبصرا: تأسست في ١ آب ١٩٤٦ في الشمال الشرقي من قرية الحرم وكان فيها بتاريخ ٨ تشرين ثاني ١٩٤٨ ٧١ يهوديا.

رِشيون: تأسست في ١١ شباط ١٩٣٦ بين قرية الحرم ومستعمرة "شفاييم" على حدود غابة مسكة من أعمال طولكرم. بلغ تعداد السكان فيها بتاريخ ٨ تشرين ثاني ١٩٤٨ حوالي ٢٩١ يهوديا.

كفار شمارياهو: اسسها يهود من ألمانيا بتاريخ ١ حزيران ١٩٣٧ إلى الشرق من قرية الحرم – سيدنا علي. ودُعيت بهذا الاسم نسبة إلى الدكتور "سمار ياهولفن" (١٨٦٧–١٩٣٥) الكاتب الصهيوني. بلغ تعداد سكانها بتاريخ ٨ تشرين ثاني ١٩٤٨ نحو ٤٠٠ نسمة.

كفار لحمان: أقيمت في ظاهر قرية الحرم الشمالي الشرقي بجوار مستعمرة "تبصرا" وبلغ عدد سكانها عام ١٩٥٩ نحو ١٤٧٠ يهوديا.

رعنانا: تقع في شمال يافا الشرقي وعلى مسيرة عشرة أميال عنها وتقع في الجهة الشرقية من قرية الحرم وأقيمت في تشرين أول من عام ١٩٢١ على يد اليهود الأمريكيين. وصل عدد سكانها بتاريخ ٧ تشرين ثاني ١٩٤٨ الى نحو ٥٩٢٢ يهوديا، وفي عام ١٩٥٦ ارتفع إلى نحو ١٢٠٠٠ يهوديا.

أماكن تواجد أهل الحرم بعد النكبة:

بلغ مجموع اللاجئين من قرية الحرم في عام ١٩٤٨ حوالي ٦٠٠ لاجئ، وقدرت أعدادهم في العام ١٩٩٨ بنحو ٣٧٠٠ نسمة. قسم منهم هاجر إلى العراق مع القوات العراقية في حرب ١٩٤٨، والقسم الثاني إلى قرية المقيبلة ومخيم طولكرم ومخيم عسكر ومخيم البقعة في الأردن.[٥٤] وقد ورد على لسان الرواة أماكن تواجد بعض أهالي قرية الحرم

نذكر منها: عائلة الكرم في صويلح – عمان، عائلة أبو قنديل في جنين، عائلة عنبص في مخيم طولكرم، وعائلة أبو سرية في مخيمي طولكرم ونور شمس.

النضال من أجل العودة:

يحن كل مخلوق إلى وطنه وأرضه، وأهالي قرية الحرم يعتبرون الحرم جنة خلد الدنيا وما يزالون يتغزلون بجمالها ويحنون لنسيمها العليل، ولقد جفَّ ريقهم بعدما حرموا من شرب مياه عينها العذبة. وما زال كبار السن من أهالي القرية يتمسكون بعاداتهم وتقاليدهم ويرتدون الزي الشعبي الذي اعتادوا أن يلبسوه في بلدهم، وما زال الغناء القديم يتردد على ألسنة سيدات القرية والقسم الآخر علق مفتاح داره في رقبته وأصبح الحلية الوحيدة لبعض النساء.

وأقام أهالي الحرم في الأردن جمعية سيدنا علي ومقرها في صويلح وأسسها علي بن الكرم، حرصت على تلاحم وربط أهالي القرية وتقديم المساعدات المالية للعائلات التي تعاني من ضائقة مالية.

ويوجد مضافة لأهالي الحرم في الأردن وفيها يجتمعون ويتقبل أهالي الحرم المعزين والمهنئين فيها، وفيها تحل الإشكاليات والمصاعب. وحاول أهالي الحرم بعد عام ١٩٦٧ العودة إليها لرؤية ممتلكاتهم وأراضيهم وتمكن بعضهم من زيارتها عندما حصل على تصريح بواسطة أقاربه.

وإذا سألت أحدهم: من أين أنت سواء أكان كبيراً أم صغيراً؟ يقول: "من الحرم". وما زالت صور البلدة وطرقاتها وترابها مطبوعة في أذهانهم ينتظرون دق ناقوس العودة مثلما أجبروا على الرحيل.

تجدر الإشارة أن أهالي سيدنا علي وخاصة من يسكن منهم في مخيم طولكرم يساهمون بنشاط في الجمعيات والمؤسسات والتنظيمات السياسية المدافعة عن حق العودة، وكان لعدد منهم دور بارز في انتفاضة كانون اول ١٩٨٧ وكذلك في انتفاضة الاقصى عام ٢٠٠٠.

الخاتمـة:

جاءت نتائج البحث على النحو التالي:

أولاً: قرية سيدنا علي "الحرم" قرية صغيرة مسالمة وادعة شارك بعض سكانها في ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩.

ثانياً: لم يبادر سكان القرية لمهاجمة المستعمرات عام ١٩٤٨.

ثالثاً: تعرضت أراضي القرية للنهب والاغتصاب من قبل المستعمرات اليهودية بمساعدة الإنجليز، وخاصة الأراضي الرملية المشاع، التي لم تكن مسجلة على اسم أهالي القرية ولكن تعود ملكيتها لأهالي المنطقة كالمناطق الرعوية والأميرية.

رابعاً: الإرهاب الصهيوني الذي مورس ضد سكان قرى يافا أجبر العديد من سكان القرى المجاورة الصغيرة مثل سيدنا علي أن تفقد قوتها، وخاصة بعد ترحيل الكثير من سكان القرى المجاورة لها مثل قرية جليل والشيخ موسى والجماسين.

خامساً: التهديد المُبطن والعلني من قبل سكان المستعمرات القريبة للقرية أرعب سكان القرية وأجبرهم على الرحيل.

سادساً: الحوادث التي حصلت مع بعض سكان القرية بشكل مباشر أخافت الناس.

سابعاً: التأكيد على وجود مخطط مدروس ومبرمج من قبل العصابات الصهيونية لترحيل منطقة قضاء يافا بالكامل. وهو ما ورد على لسان العديد من القادة الصهاينة وأكده المؤرخون الجدد أمثال بيني مورس.

الهوامش

١ الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني. إصدار هيئة الموسوعة، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٨٤، ص ٢١٩.
٢ الدباغ، مصطفى مراد. بلادنا فلسطين، الجزء الرابع، القسم الثاني. بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٨، ص ٤٢٥.
٣ الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني. مصدر سبق ذكره.
٤ مقابلة مع الحاجة خضرة محمد أبو رحيم، ٨٠ عاما، مخيم طولكرم، ٢٠/ ٤/ ٢٠٠٤.
٥ الموسوعة الفلسطينية، المجلد الأول، "الدراسات الجغرافية"، إصدار هيئة الموسوعة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠، ص ١٨٧.
٦ مقابلة مع أبو فهمي، عبد القادر أبو سرية، ٩٥ عاما، مخيم طولكرم. مقتبسة من جريدة كل العرب، ١٤/ ١٠/ ١٩٩٤.
٧ مقابلة مع صبحي عبد القادر أبو سرية، ٦٣ عاما، طولكرم، ٢٠/ ٤/ ٢٠٠٤.
٨ مقابلة مع الحاجة خضرة محمد أبو رحيم، مصدر سبق ذكره.
٩ شراب، محمد محمد. معجم بلدان فلسطين، الطبعة الأولى. بيروت: دار المأمون للتراث، ١٩٨٧.
١٠ الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٩
١١ مقابلة مع عمر عبد الهادي، ٦٧ عاما، مخيم طولكرم، ٢٢/ ٤/ ٢٠٠٤؛ ومقابلة صبحي أبو سرية، مصدر سبق ذكره.
١٢ مقابلة مع صابر أبو سمري، ٧٦ عاما، مخيم طولكرم، ١٣/ ٤/ ٢٠٠٤.
١٣ مقابلة مع رمضان أبو زهري، ٧٦ عاما، مخيم طولكرم، ٢٥/ ٤/ ٢٠٠٤.
١٤ الدباغ، مصطفى مراد. بلادنا فلسطين، مصدر سبق ذكره، الجزء التاسع، القسم الثاني، ص ٩٦.
١٥ الدباغ: مصطفى مراد. بلادنا فلسطين، مصدر سبق ذكره، الجزء العاشر، القسم الثاني، ص ١٠٢.
١٦ الدباغ، مصطفى مراد. بلادنا فلسطين، مصدر سبق ذكره، الجزء السابع، القسم الأول في الديار اليافية، ص ص ٢٤٩-٢٥٠.
١٧ مقابلة مع أبو فهمي، عبد القادر أبو سرية، مصدر سبق ذكره.
١٨ مقابلة مع خضرة محمد أبو رحيم، مصدر سبق ذكره؛ ومقابلة مع أبو فهمي عبد القادر أبو سرية، مصدر سبق ذكره.
١٩ مقابلة مع كاملة أبو سرية، ٦٤ عاما، مخيم طولكرم، ٢/ ٤/ ٢٠٠٤.
٢٠ مقابلة مع صبحي عبد القادر أبو سرية، مصدر سبق ذكره.
٢١ مقابلة مع صابر أبو سمري، ٧٦ عاما، مخيم طولكرم، ٢٦/ ٤/ ٢٠٠٤.
٢٢ الخالدي، وليد. كي لا ننسى. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٧.
٢٣ مقابلة مع رمضان أحمد أبو زهرة، ٦٧ عاما، مخيم طولكرم، ٢٥/ ٤/ ٢٠٠٤.
٢٤ مقابلة مع فطيمة علي أبو راس، ٨٠ عاما، مخيم طولكرم، ١٣/ ٥/ ٢٠٠٤.
٢٥ مقابلة مع سليمان سلامة أبو قنديل، ٦٨ عاما، مخيم طولكرم، ١/ ٥/ ٢٠٠٤.
٢٦ مقابلة مع فهمي عبد القادر أبو سرية، مخيم طولكرم، ١/ ٥/ ٢٠٠٤.
٢٧ مقابلة مع كاملة أبو سمري، مصدر سبق ذكره
٢٨ المصدر السابق.
٢٩ مقابلة مع خضرة محمد أبو رحيم، مصدر سبق ذكره.
٣٠ مقابلة مع صابر أبو سمري، مصدر سبق ذكره.
٣١ مقابلة مع فطيمة علي أبو راس، مصدر سبق ذكره.
٣٢ مقابلة مع صابر أبو سمري، مصدر سبق ذكره.
٣٣ مقابلة مع صالح عبد الرازق، ٦٥ عاما، مخيم طولكرم، ١٥/ ٤/ ٢٠٠٤.
٣٤ مقابلة مع حفيظة يونس حسين قنديل، ٧٠ عاما، مخيم طولكرم، ١٣/ ٤/ ٢٠٠٤.
٣٥ مقابلة مع رمضان أحمد أبو زهرة، مصدر سبق ذكره.

٣٦ المصدر السابق.
٣٧ الموسوعة الفلسطينية، قسم الدراسات – المجلد الثاني، مصدر سبق ذكره.
٣٨ الدباغ، مصطفى مراد. بلادنا فلسطين، الجزء الرابع، القسم الثاني. مصدر سبق ذكره.
٣٩ مقابلة مع عاهد عنبص، ٦٩ عاما، مخيم طولكرم، ١٣/ ٤/ ٢٠٠٤.
٤٠ مقابلة مع رمضان أبو زهرة، مصدر سبق ذكره.
٤١ مقابلة مع فهيمة أحمد ذياب، ٦٦ عاما، مخيم طولكرم، ١٦/ ٤/ ٢٠٠٤.
٤٢ مقابلة مع أحمد الدوش، ٦٤ عاما، مخيم طولكرم، ٢٠/ ٤/ ٢٠٠٤.
٤٣ مقابلة مع خضرة محمد أبو رحيم، مصدر سبق ذكره.
٤٤ الخالدي، وليد، مصدر سبق ذكره.
٤٥ مقابلة مع خضرة محمد أبو رحيم، مصدر سبق ذكره.
٤٦ الخالدي، وليد. مصدر سبق ذكره.
٤٧ مقابلة مع عمر عبد الهادي، ٦٦ عاما، مخيم طولكرم، ٢٠/ ٤/ ٢٠٠٤.
٤٨ المصدر السابق.
٤٩ مقابلة مع صبحي أبو سرية، مصدر سبق ذكره.
٥٠ مقابلة مع خضرة محمد أبو رحيم، مصدر سبق ذكره.
٥١ مقابلة مع صابر أبو سمري، مصدر سبق ذكره.
٥٢ مقابلة مع رمضان أبو زهرة، مصدر سبق ذكره.
٥٣ الدباغ، مصطفى مراد الدباغ. مصدر سبق ذكره، الجزء السابع، الديار اليافية.
٥٤ مقابلة مع أبو فهمي، عبد القادر أبو سرية، مصدر سبق ذكره.

ملحـق الصور:

منظر عام لمسجد القرية . (المصدر : www . palestineremembered . com)

مقام سيدنا علي داخل المسجد . (المصدر : www . palestineremembered . com)

(المصدر : www . palestineremembered . com)

ما تبقى من مقبرة القرية . (المصدر : www . palestineremembered . com)

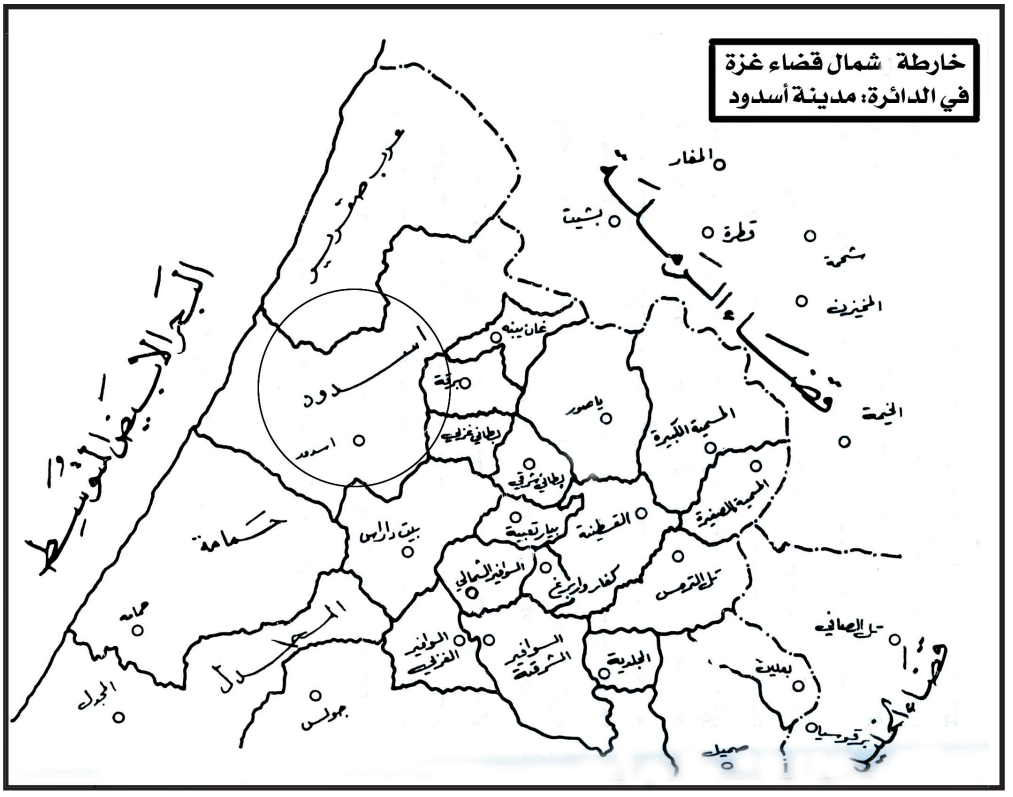
خارطة شمال قضاء غزة
في الدائرة: مدينة أسدود
البحر الأبيض المتوسط
المغار
بشيتة
قطرة
شمونة
المجدل
الخيمة
السبعة الكبيرة
السبعة الصغيرة
القسطينة
تل القرمص
تل الصافي
بلمية
البدية
السوافير الشرقية
السوافير الغربي
السوافير الشمالي
كفار داروم
بيت دراس
حمامة
عجلة
الجورة
جهولس
سهيلة
عسقلان
برقة
بطاني غربي
بطاني شرقي
ياصور
أسدود

الورقة البحثية الثانية

أسـدود

رشـاد المدني*

مقدمـة

برز الاهتمام بالتاريخ الشفوي الفلسطيني من قبل الباحثين والأكاديميين الفلسطينيين،[١] بعد عدة عقود من أحداث نكبة عام ١٩٤٨، التي أدت إلى تشريد الشعب العربي الفلسطيني خارج أرضه ووطنه، فقد أُجبر معظم الفلسطينيين على ترك أراضيهم وممتلكاتهم بعد تعرضهم لأبشع المجازر الصهيونية التي ارتكبتها القوات الإسرائيلية ضدهم عام ١٩٤٨[٢] الأمر الذي أدى إلى فقدان الفلسطينيين للكثير من مظاهر حياتهم الثقافية والحضارية في فلسطين، بل تعدى الأمر ذلك، بضياع معظم المخطوطات، والسجلات، والأرشيفات، والوثائق، والمستندات، والمُذكرات، التي كانت تبرز أوجه النشاطات لمختلف أنماط الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وغيرها من المجالات الأخرى لحياة الشعب الفلسطيني.[٣] ومن ناحية أخرى، فقد سعى الإسرائيليون، منذ البداية، ومن خلال استخدامهم القوة العسكرية في العام ١٩٤٨، إلى تحقيق أهدافهم الاستراتيجية المتمثلة في إلحاق الهزيمة بالعرب، وضرب الفلسطينيين بالضربة القاضية، وكسر إرادتهم، وطمس هويتهم الوطنية، وطردهم من مدنهم وقراهم، ومن ثم إقامة الدولة اليهودية في فلسطين،[٤] إضافة إلى تعزيز الرواية الإسرائيلية التي تتبنى مفهوم الحق التاريخي والديني لليهود في فلسطين، كما يزعم اليهود أنفسهم.[٥]

وبناءً على ما تقدم، وجد الفلسطينيون أنفسهم أمام مُعضلات وتحدِّيات خطيرة تمثلت في إلحاق ضرر كبير في ركائز ومقومات حضارتهم وتراثهم وتاريخهم، إذ تم نهب وتدمير جزء كبير من ثقافتهم وإرثهم الحضاري والتاريخي، وبات واضحاً أن على الفلسطينيين مواجهة هذه المُعضلات والتحدِّيات بكل الطرق والوسائل المُتاحة. وفي هذا

---

* **رشاد المدني**: الحائز على المرتبة الثانية في جائزة العودة في حقل التاريخ الشفوي للعام ٢٠٠٧، عن بحثه "اسدود ١٩٤٨". صحفي وباحث في مجال التاريخ الشفوي، من مواليد غزة.

الصدد، برزت هنالك تساؤلات مهمة، كان لا بدَّ من الإجابة عليها بكل صراحة ووضوح، ومنها: كيف يمكن مواجهة الرواية الإسرائيلية، ودحضها، وكشف زيفها، وفضح أساليبها وأهدافها أمام العالم؟ ثم كيف يمكن تعزيز الرواية الشفوية الفلسطينية الأصيلة، والاستفادة منها من أجل تأسيس أرشيف وطني مركزي يساهم في إعادة كتابة تاريخنا الفلسطيني بأقلام وعيون فلسطينية؟ وكيف يمكن استنهاض الذاكرة الفلسطينية وتفعيلها والاعتماد عليها من أجل إعادة صياغة وكتابة تاريخنا والمحافظة على تراثنا.

من هنا، وكما أشرنا سابقاً، بدأ الاهتمام بمشاريع التاريخ الشفوي الفلسطيني. وأخذ العاملون في هذا الحقل، سواء كانوا من الباحثين الأكاديميين، أو من المُهتمين، أخذوا يبذلون قصارى جهودهم ومساعيهم من أجل تسخير الذاكرة الفلسطينية الأصيلة لإعادة كتابة التاريخ الفلسطيني وتنقيته من الشوائب وكل أشكال التشويه، وحمايته من الطمس والتزوير.

وانطلاقاً مما سبق، فقد برز اهتمامي بمشاريع التاريخ الشفوي منذ أن عملت بمركز الأبحاث بجامعة بيرزيت في أوائل الثمانينات من القرن الماضي، ضمن مشروع توثيق القرى الفلسطينية المُدمرة. ولذلك، رأيت أن أواصل جهدي، واخترت أن أقوم بهذه الدراسة المتواضعة، خاصة وأن "أسدود" اكتسبت أهمية خاصة أثناء حرب عام ١٩٤٨، كونها كانت مقراً هاماً للقيادة المصرية آنذاك وشهدت أحداثاً مهمة، إلا أن بعض هذه الأحداث، لم تتناولها كتب التاريخ، وبقيت مدفونة في الذاكرة الفلسطينية وخاصة روايات الفلسطينيين التي تبين وتبرز بشكل واضح أساليب القمع والإرهاب التي مارستها إسرائيل ضد الفلسطينيين آنذاك، إضافة إلى المعاناة القاسية والمصاعب الكثيرة التي واجهها الفلسطينيون أثناء نزوحهم وتهجيرهم.

حول الدراسة

الأهمية: تكمن أهمية هذه الدراسة من خلال ذكر المعطيات التالية: أولا، أن القيادة المصرية كانت موجودة أثناء حرب عام ١٩٤٨ في أسدود. ثانيا، أن الدراسة اعتمدت على العديد من الروايات الشفوية الفلسطينية التي وصفت الأحداث ووثقتها بشكل موضوعي. وأخيرا، أن جميع الرواة الذين أدلوا برواياتهم، كانوا شهود عيان وممن عاصروا تلك الأحداث، وبعضهم كان ممن شارك فيها.

الأهداف: توضح الدراسة مجموعة أهداف أولها إبراز الدور المهم للذاكرة الفلسطينية والتاريخ الشفوي الفلسطيني في معرفة الأحداث وجمع المعلومات وتوثيقها والاستفادة

منها. كما تهدف الى إبراز دور المقاومة الفلسطينية في اسدود وما حولها أثناء حرب عام ١٩٤٨، وكشف أساليب القمع والإرهاب التي مارسها الإسرائيليون ضد الفلسطينيين في العام ١٩٤٨، وإبراز معاناة الشعب الفلسطيني وقصص النزوح والتهجير نتيجة العدوان الإسرائيلي عام ١٩٤٨.

المنهجية: انتهجت الدراسة منهج البحث التاريخي الوصفي التحليلي، وذلك من خلال جمع المعلومات من المصادر والمراجع والدوريات، والقيام بإجراء مقابلات مُقنّنة مع العديد من الأهالي الذين عاشوا في اسدود قبل عام ١٩٤٨، وكانوا شهود عيان على النكبة أو ممن شاركوا في أحداثها، وقد قام الباحث بدراسة هذه المعلومات وتحليلها ومقارنتها بما يخدم موضوع الدراسة، وإنجازها بشكل علمي وموضوعي.

خطة الدراسة: اشتملت على مقدمة وثلاثة فصول، وخاتمة، وعدد من الملاحق، إضافة إلى قائمة المصادر والمراجع. وقد تناولت المقدمة، أهمية الدراسة، وأهدافها، ومنهجيتها، بينما استعرض الفصل الأول التاريخ الرسمي لقرية اسدود مبيناً أصل التسمية ونشأة القرية وموقعها وعدد سكانها، وحمائلها، وأهم معالمها. وتحدّث الفصل الثاني عن نكبة ١٩٤٨، وأهم المعارك التي خاضها الفلسطينيون ضد القوات الصهيونية، قبل دخول الجيش المصري في ٢٩ أيار ١٩٤٨، والذي تطرق إليه هذا افصل أيضا. أما الفصل الثالث، فقد جاء بعنوان "تدهور الأوضاع وسقوط اسدود"، حيث ركز على استخدام القوة العسكرية الصهيونية ضد الفلسطينيين إضافة إلى استعراض العديد من الروايات الشفوية الفلسطينية التي تصف قصص الرحيل والتهجير.

الفصل الأول:

التاريخ الرسمي لقرية اسدود

التسمية والنشأة:

اسدود مدينة كنعانية قديمة، بناها العناقيون[٦] وأطلقوا عليها اسم "اشدود" بمعنى القوة أو الحصن،[٧] وقد أشار إليها ابن خرد ذابة، أحد مؤرخي القرن الثالث الهجري، في كتابه "المسالك والممالك" باسم "إزدود" حيث قال: "كانت ازدود محطة على طريق البريد بين مصر والشام، تقع بين محطتي الرملة وغزة".[٨] وحينما نزل الفلسطينيون،[٩] القادمون من جزيرة كريت، الى أرض كنعان في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، واستقروا في الساحل الجنوبي، أصبحت اسدود إحدى مدنهم الخمس التي ذكرتها كتب التاريخ وهي: غزة، اسدود، عسقلان، عقرون، وعراق المنشيه.[١٠]

وفي عام ١٠٥٠ ق. م. هاجم اليهود اسدود، ولكن الفلسطينيين هزموهم في معركة رأس العين، شمال شرق يافا، واستولوا على "تابوت العهد" الذي كان يحفظ فيه اليهود شرائعهم، ووضعوه في هيكل داجون.[١١]

ونظراً لوقوع اسدود على الطريق الساحلي الذي يصل بين سوريا ومصر، فقد جعلها هذا الموقع عرضة لكثير من المنازعات والحروب بين الدول، وخاصة بين الآشوريين والمصريين. ففي عام ٧٣٤ ق. م.، استسلمت المدينة إلى ملك آشور "تغلات بلاسر الثالث"، وفي عام ٧١٥ ق. م. نشبت فيها ثورة ضد الآشوريين بتحريض من فرعون مصر "شاباقا"، فأرسل ملك آشور "صارغون الثاني"، قواته لمحاصرتها ودام الحصار أكثر من ثلاث سنوات، تمكن في نهايتها (٧١١ ق. م.) من اقتحام المدينة وإخضاع ملكها، وأسكن فيها مستوطنين أشوريين. وأصبحت اسدود عاصمة لولاية آشورية، ولم يتمكن المصريون من أخذها إلا بعد ٢٩ عاما.[١٢]

وفي القرن الرابع قبل الميلاد، وقعت اسدود تحت السيطرة اليونانية بقيادة الإسكندر المقدوني وحلفائه من البطالسة والسلوقيين، حيث عرفت في ذلك العهد باسم "ازوتوس".[١٣] ولما دخل الرومان فلسطين عام ٦٣ ق. م. بقيادة "بومبى"، كانت اسدود مهدومة، إلى أن تمكن القائد الروماني "غابينياس" من إعادة بنائها في العام ٥٥ ق. م.، وأعاد إليها رونقها القديم. وفي العام ٣٨ م. تنصّر سكان اسدود مع غيرهم من سكان الساحل الفلسطيني.[١٤]

وفي عهد الفتوحات الإسلامية، فقد دخلت اسدود ضمن جملة المُدن والقرى الفلسطينية التي

فتحت أبوابها للمسلمين في القرن السابع الميلادي،[١٥] وقد نزلها الصحابي الجليل عبد الله بن أبي السرح حيث توفي فيها سنة ٦٥٧ م (٣٧هـ).[١٦]

وفي فترة الحروب الصليبية، خضعت اسدود للصليبيين في القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري)، ولم يجدوا فيها سوى "قرية" صغيرة. وقد عسكر الصليبيون في العام ١١١٨ م (٥١٢ هـ) حول اسدود مدة ثلاثة أشهر، ويعتقد أن القائد الصليبي "فولك الأنجوي" حصّن المدينة في العام ١١٤٨ م (٥٤٣هـ).[١٧]

الموقع:

تقع اسدود إلى الشمال من مدينة غزة وهي على الطريق بين يافا وغزة، ترتفع نحو ٤٢ متراً عن سطح البحر، وتبعد عن الساحل بحوالي ٣ كم، يحدها من الشرق، أراضي قرية البطاني الشرقي والغربي؛ ومن الغرب، البحر الأبيض المتوسط؛ ومن الشمال، أراضي عرب صقرير؛ ومن الجنوب، أراضي قرية حمامة؛ ويحدها من الشمال الشرقي، أراضي قرية بيت دراس. تبلغ مساحة أراضيها الإجمالية ٤٧,٥٧١ دونماً، أما مُسطح القرية، فقد بلغ ١٣١ دونماً.[١٨]

عدد السكان:

بلغ عدد سكان اسدود في العام ١٩٢٢م، ٢,٥٦٦ نسمة، ازدادوا إلى ٣,١٣٨ نسمة في العام ١٩٣١م، وفي عام ١٩٤٥م، بلغوا ٤,٦٣٠ نسمة.[١٩]

الحمائل:

يذكر أهالي اسدود أنهم في القرية كانوا أربعة حمائل رئيسية، وتضم كل حمولة مجموعة عائلات مُوزّعة على أقسام مختلفة من القرية، وهذه الحمائل هي: حمولة الدعالسه، وحمولة الجودة، وحمولة المناعمة، وحمولة الزقاقته. ويُضيف أهالي اسدود أيضاً أن معظم أفراد هذه الحمائل عملوا في الفلاحة وتربية المواشي بالإضافة إلى عدد قليل منهم عمل في التجارة وفي بعض المهن والحرف الأخرى. يقول أبو وجيه:

> "أسدود مَكَنشْ فيها تركيزْ سكاني، اِلّي كانْ هُوَّا أربعْ حمايلْ مِتْساويين ف العدد تقريباً، إحنا كُنَّا انسَميهُم اِرْباع: رُبْع الدعالسة، رُبع الجوده، رُبع الزكاكتة (زَقوت)، ورُبع المناعمه. في كل رُبع، كان فيه مَن جميع الحمايل. في رُبع المناعمه كان: قفة وحسن وعبدَ اللطيف وغبن ونوفل والعايدي والسباخي وعوض الله النوري. كانت كل الحمايل مِتْعاونة

ومتْماسْكة مع بَعَضْها، القسم الأعظم كانوا ملاّكين وكانوا بشْتغْلوا ف الفْلاحة و شْوَيَّه منهم في التجارة، وفي حرَف ثانيه، إحنا ابْنعْرفشْ مين أقدم ناس في اسدود، لكن أهل اسدود موجودين في اسدود منذ القدم قَبلْ تركيا بكثير، ولمَّنْ اطْلعنا من البلد كان عدد السكان حوالي ٦٠٠٠ نسمة ".[٢٠]

١- الدَّعالْسه:

استقر معظم أفراد هذه الحمولة في الناحية الشرقية من القرية، وعمل أفرادها في الفلاحة وتربية المواشي وامتلكوا أراض زراعية واسعة، وهي تتكون من العائلات التالية: أبناء: حميد، وجبر، وكسّاب، والحاج يونس، وأبو عطوان، وأبو شملة، وعطيّة، وحمّاد، وسليمان علي، والعروقي، وأحمد صالح، وجاد الله، ونجم، وأبو محيسن، وأبو ربيع، وأبو كلوب، وأبو حمودة، والصعيدي. يقول المختار أبو بسام:

" الأساس تَبَعْنا هُوَّا نَبْهان الدَّعَليس، نبهان خلَّف: إحمد، وإحمد خلَّف محمد، ومحمد خلّف عبد الرحيم، وعبد الرحيم خلّف أربعه: عبد الهادي، واحمد الحافظ، وعبد الرحمن طقّش، وحسن طقّش. نبهان الدعليس كان صاحب الْكلْمه في اسدود، ومن رجالات اسدود المعروفين قَبلْ الأتراك. وفي عهد الأتراك، أجَا بَعْدين عبد الحميد احميد الدعليس صار مختار، وأجا بعده محمد عبد الحميد احميد الدعليس، وفي بداية عهد الإنجليز صار المختار أبوي اللي هوَّا عبد الهادي عبد الحميد احميد الدعليس، بعدين جيت أنا بعد أبوي. في فَرعْ منَّا في الشام أصلهم من اسدود، وفي زيارات بينا وبينهم. هاظول طلعوا في أول عهد الأتراك، طلع واحد اسمه أحمد، واحمد هناك خلّف عبد الحفيظ، وعبد الحفيظ خلّف أحمد الحافظ وسلالتو موجودة حتى الآن في دمشق. أحمد الحافظ خلّف عبد الحفيظ وسليم وسالم ومحمد وعبد الكريم ويوسف وحسن.

عبد الكريم ابن أحمد الحافظ إجا عَ القدس، وصار مدرس في المسجد الأقصى في الأربعينات، وبعدين أخو اللي هوّا الشيخ عبد الحفيظ ابن احمد الحافظ هاظا اللِّي بنا الجامع لكبير في اسدود سنة ١٩٣٤، هاظول أجو على البلد أثناء حرب الفرنساوي أول الانتداب، وبعد ما انتهت الحرب رجْعوا على الشام، وظلوا هناك لَحَدّيت اليوم. منهم تجار معروفين زيْ عبد البديع الحافظ الدعليس ومهدي الحافظ الدعليس، ومنهم حمزه عبد الكريم الحافظ الدعليس، هاظا لاجئ سياسي من أيام عبد الناصر وحتى الآن. وفيه واحد امْقاولْ اكْبير في الشام اسمه محمد الحافظ الدعليس وعبد الله حسن الحافظ الدعليس من الشخصيات المعروفة في الشام وبيعمل في التجارة. ومن هالوجوه من عيلة طقش الدعليس في آخر عهد الأتراك عبد الرحمن عبد الرحيم طقش الدعليس، وحسن عبد الرحيم الدعليس، وفي الثلاثينات كان من الوجوه إبراهيم طقش الدعليس، وعبد الله أحمد طقش، وعبد الكريم أحمد طقش ".[٢١]

٢- المْناعمه:

سكن معظم أفراد هذه الحمولة وسط القرية، وقد عمل أفرادها بالزراعة وتربية المواشي، وتضم العائلات التالية أبناء: عيسى (حسن، الحساسنة، وعبداللطيف)، وقفه، وغبن، ونوفل، وصافي، والبطراوي، وسلطان، وأبو زينة، ومخيمر الحنفي، والسباخي، وعوض الله (النُّوري)، والعايدي. يقول أبو العبد:

"إحْنا عيلة امْحمد حسن تابعين المناعمة، كان في الرُبْع تَبَعْنا: قفة وغبن والسباخي وامْخيمر وعَبد العال. الْبلد كانت شَرْبَكه في بعضها، هاظا مناعمه وهاظا دعليس وهاظا زكوتي وهاظا جودة، الجَّوَده كانوا على شقة شمال شرق البلد، والَّدعالسه منهم وقبله، والَّزكاكته شمال غرب البلد، إحنا المناعمه في الوسط. أنا الحقت اثنين امْن الْمخَتير أيام تركيا واحد بيقولولوعبد العزيز عبد الهادي زكوت، وواحد بيقولولو احمد ابراهيم من الجَّوَده، كان كل حموله إلها مختار وديوان، آخر مختار كان للمناعمه هوَّا عبد الفتاح قفه، وكان قبلو واحد اسمه ذيب علي أبو زينه".[٢٢]

كما يقول أبو علي:

"احنا عيلة غبن تابعين حمولة المناعمة، كُنَّا ساكنين في شرق البلد، وكان اللي هوْ سيدي علي غبن كان مختار الرُّبع اللي احْنا فيه ربع المناعمة. هاذا سيدي خلّف حسن ومحمد، حسن خلّف احمد اللي هوّا أنا، عمي محمد خلّف محمد عبد الهادي، وهذولا خلفوا وكثروا. أيام لبلاد اللي أجا بعد سيدي المختار عبد الرحمن قفة، بعدين أجا علي أبو زينه، وبعدها أجا ابنه ذيب هاذا مَقَعَدش اكْثير. بعدين أجا عبد الفتاح قفة، وظلو مختار لغاية بعد ما هاجرنا، اللي اتْعَلَّم من جماعتنا الشيخ موسى غبن اتْعَلّم في الأزهر، ورجع على البلد، إحْنا في البلد كان الْنا قهوتين؛ وحده على الاسفلت، كانت مشهوره، والْكل بعرفها ابْقَهْوة غبن، والثانية كانت على الجسر شرق البلد".[٢٣]

ويقول أبو وجيه:

"عائلة قفة سكنت في الجانب الشرقي والجانب الغربي من البلد. إحْنا كُنا نعْتْبر الجَّامع لكْبير هُوَّا الفاصل اللِّي بفْصل البلد شرقا وغربا، إحْنا كُنَّا امْن الجَّامع وشرقا ومنَه وغربا. في روايه بَعْرفش إذا هي صحيحه أم لا بخصوص التسميه قفه، يُقال: إنُّو أول ما أجا على البلد واحد اسمو علي كان ساكن في بربره، ثم انتقل الى ازدود، كانت الناس مرْتاحه وهُوَّا ميسور الْحال، هانا ناس اكْثير كانوا ييجو على ازدود، الناس الغريبة كانوا ييجوا اظْيوف، وكانوا يجتمعوا في ديوان في حارة البلد، والتي اقيم مكانها الجَّامع لكْبير. كان كل واحد من أهل البلد ايْجيب زواده أكل وشرب؛ عَشان الظيوف، فكان علي هاذا ايْجيب قُفِّه وعليها

زواده وعيش ويوديها لَلظِّيف في البلد، طِلعت عليه أجا علي قفه راح علي قفه، سيدي يوسف قفه كان مختار في آخر العهد التركي، بعدين أجا والدي عبد الرحمن وصار مختار في أول الانتداب، بعدين أجيت أنا من سنة ٣٧ لغاية ١٩٤٨، وبعد الهجرة ظليتني لغاية ١٩٦٦ وبعدها دشَّرِت المختره".[٢٤]

٣- حمولة الجوده:

سكن أفراد هذه الحمولة في الناحية الشمالية والشمالية الشرقية من قرية اسدود وعمل أفرادها في الزراعة وتربية المواشي وهي تتكون من العائلات التالية: سليمان، إبراهيم، الشيخ البيومي، عبد الغني، الحاج عيسى، هارون، قراقر، عبد الباسط، عبد ربه، طومان، الكردي، أبوالعوف، أبو شعيب، الحاج يوسف، النجار، عبد القادر. أما مخاتيرهم منذ أواخر العهد التركي وحتى سنة ١٩٤٨ فهم حسب تسلسلهم الزمني: محمد أحمد هارون، أحمد إبراهيم، محمد النجار، حسين صالح، والشيخ حسن طهبوب البيومي.

ومن وجهاء هذه الحمولة في عهد الانتداب شاكر عطية البيومي، وعبد الحميد سليمان جودة، أما من مشاهيرهم في غزة فمنهم الشيخ محمد حرب خميس جودة الذي تعلم في الأزهر وتخرج منه وشغل عدة مناصب دينية في قطاع غزة كان آخرها عضواً في محكمة الاستئناف في الشرعية في غزة وبقي في هذا المنصب حتى أحيل على التقاعد سنة ١٩٨٣م.[٢٥]

٤- حمولة الزقاقته:

يذكر أهالي اسدود أن معظم أهالي هذه الحمولة سكنت في الجهة الغربية والشمالية الغربية من القرية، وعمل أفرادها في الزراعة وتربية المواشي وتضم هذه الحمولة العائلات التالية: إسماعيل زقوت، محمد صالح، نصار، أبو شوقه، عبد الواحد، طه، أبو سلوم، الشويخ، البقري، تمراز، وعقل الصوري. يقول أبو طلال:

"إحنا حمولة الزقاقته كان إلها رُبع خاص فيها مثل باقي الأرباع. كنا ساكنين غرب البلد وكان من مخاتيرنا أواخر العهد التركي إسماعيل أحمد صالح، وعبد العزيز عبد الهادي زقوت، وفي عهد الانتداب كان مختارنا الحاج عبد الرحمن محمود زقوت، بعدين استلم المخطرة إبنه محمد، وكان من الوجهاء أيام الإنكليز عبد الرحمن عبد القادر زقوت، وبعد ١٩٤٨ كان من الوجهاء في غزة الدكتور عبد الله عبد الرحمن زقوت والوجيه عبد الله محمد عيسى زقوت، وعبد الحميد عبد الجواد زقوت، والشهيد بشير عوض عبد الجواد زقوت الذي استشهد في لبنان عام ١٩٧٨".[٢٦]

وتقول أم خالد، وهي من حمولة الزقاقته أيضا:

"كان في البلد أربع حمايل، إحنا كنا ساكنين في الجهة الغربية، وكل حمولة كان عندها مقعد، ديوان الحمولة، مثلاً واحد تقاتل مع الثاني أو ألو مال على حدن، يروحوا على المقعد يتقاضوا هناك قدام المخاتير وهالوجوه القاعدين، والمختار يصلح ما بينهم ويحكم بالحق، ومرات يذبحوا ذبايح للظيف، والظيف ظيف الله تلاقي هالرجال يحملوا هالصواني وفيها اللحم والفت وبروحوا على المقعد".[٢٧]

أهم المعالم والمواقع

وُجد في قرية اسدود معالم ومواقع كثيرة أهمها:

١- **الجامع القديم:** الذي يقع في حارة الجودة شمالي القرية، وقد أقيم في العهد التركي، وكان الجامع الوحيد في القرية، ويعرفه الناس باسم الجامع القديم أو جامع الجودة.

٢- **الجامع الجديد:** في أوائل عهد الانتداب قام السكان أنفسهم ببناء جامع آخر وسط القرية له بابان ومئذنة، ويرجع الفضل في بناء هذا المسجد لله أولاً، ثم للشيخ عبد الحافظ أحمد عبد الحافظ الدعليس الذي شارك بنفسه في البناء. وكان الشيخ محمود نجم هو إمام اسدود وشيخها، وقد أنيطت به مهمة الإمامة والخطابة والتدريس. وقد وجد في اسدود عدد من المشايخ ورجال الدين الذين درسوا في الأزهر، نذكر منهم: الشيخ علي الفيومي، والشيخ عبد الحليم الحمامي، والشيخ محمد الحنفي، والشيخ حسن طهبوب، والشيخ موسى غبن، والشيخ علي كتوع. يقول أبو العبد:

"فِيْ واحَد بيقولولو الشِّيخ علي الفيومي، الْبلد حَجْزَتو لأجل صلاة الجمعة، هاذا الشيخ مَرَحِشْ علىَ العسكريه ايام تركيا؛ لأن البلد طَلْبَت امْن الحكومة إنْهُم اِيْخَلُّو عشان يصلي الجمعة فيهم، وهاذا الشيخ اِتْعلَّم في الأزهر، وبَعْدو أجا الشيخ محمود نجم".[٢٨]

أما أبو عثمان فيقول:

"أيام تركيا كان عِنا الجامع القديم نَحيْثْ حارة الجَّوَده في شمال البلد، كان الإمام هوا الشيخ محمود نجم، وبعدين لَمَّن كثرَت النَّاس، وأجو دار حميد من الشام في أول ما أَجَت الإنجليز، الْبلد كُلْها بَنت جامع اجْديد اِبْميَذنه افْ نُصْ الْبلد، كانت مساحته دُلُمْ وشْوَيِّه. كان إلُو ستْ غُرف عَقِد ورْواقات قُدَّامو، كَان واسع إلُّو بابين؛ باب غَرْبَه وباب شَرْقَه، والإمام ظلوَ الشيخ

محمود نجم، وصار بعدو الشيخ حسن طهبوب، والشيخ محمد الحنفي اِيْئِموا في الجَّامع القديم. أنا كُنتْ مَرَّات أنوب عن الشيخ محمود في اِغْيابو، وبقيت أعطي دروس دينيه تطوع مني حسب الظروف، وكان فيه الشيخ عبد الحليم العرقوبي (الحمامي) كان مَرَّات أئم بالمصلين، والأذان غالباً كان تطوع مين ما كان كان اِيْأَذِّن ".[٢٩]

٣- **مزار الشيخ إبراهيم المتبولي:** يقع في الجهة الغربية من القرية وقد استعمل في أواخر عقد العشرينات كمدرسه يتعلم فيها أبناء القرية، والمقام كان عبارة عن غرفه تضم ضريحاً للشيخ إبراهيم المتبولي واسمه إبراهيم بن علي بن عمر المتبولي الأنصاري الأحمدي الصوفي، وهو ولي وإمام مشهور مصري الأصل رحل إلى أسدود إثر خلاف بينه وبين السلطان المملوكي قايتباي، ومات فيها سنه ١٤٧٢ م (٨٧٧هـ) بعد أن عاش ٨٠ سنه لم يتزوج في أثنائها.[٣٠]

٤- **مزار سلمان الفارسي:** يقع في الجهة الغربية من القرية، وهو قريب جداً من مقام إبراهيم المتبولي، وسلمان الفارسي، هو صحابي جليل وهو صاحب فكرة حفر الخندق في غزوة الأحزاب سنة ٥ هـ، وقد توفي سنة ٣٦ هـ، وقد أقيم على هذا المزار مسجد في عهد الملك الظاهر بيبرس سنة ١٢٦٨ م (٦٦٧هـ).[٣١]

يقول أبو بسام:

" كان عنَّا في البلد عدة مزارات، الْكُل كان اِيْزورها، والْكل كان يذبح ذبايح ويعْمل أكل لوجه الله تعالى، فيه كان مقام المتبولي، غرفه فيها قبر اِمْجَلَّل ومَكْسي بقْماش اِخْضَرْ وكانت الو اِرْواقات وساحه الناس اِتْصلي فيها، وكان فيها مِقْبره يدفنوا فيها، المقام اللي اِملَزَّق اِلو من الجهه الغربية وعلى تلاه هوَّا سلمان الفارسي. هاذا كان بيت عَقدْ وتحْتو اِمْغاره تُدخُلها اِبْدَرجات، المْغاره فيها حجر نزَّاز، وكانت الناس اِتْمَسِّح اِوْجوها منُّو، ويتبَاركوا منُّو، كان للمتبولي والفارسي وَقْف، ارض موقوفه، كل واحد اِلو بدياره وفيها بير مَيّه، البير تَاع سيدنا سَلْمان مهجور. لكن بير سيْدنا ابراهيم المتبولي شَغَّال، والبياره شغَّاله، وفي ناس مسْتأجرينها من الأوقاف، والبير كان يسقي بيارة سلمان الفارسي وأبو الإقبال. وكان في حَدْهُم خان وأرض اسمها أرض الخان هاذي كانت للأوقاف، وفيه كان برْكه اسمها برْكة الخان تتْجَمَّع فيها مَيْة الْمطر، ولما أجا لنْجليز وشاف الميه زي بحيره، فكر إنو اِيْقيم هالمَيه، ففحر خندق بين برْكة الخان وطرف البلد، لمَّن وصل الخندق لحارة الجَّوَده شمال البلد، بعد هيك اجو لنْجليز وعملوا كوبري [جسر] اكْبير من خشب عشان الناس اتْعدي من شرقه لغربه، هاذا الكوبري زي جسر موجود قريب من قهوة غبن اللِّي في شرق البلد على الطريق ".[٣٢]

الفصل الثاني:

حرب عام ١٩٤٨

الأوضاع في اسدود وأهم المعارك قبل دخول الجيش المصري

يقول أهالي قرية اسدود بأن المناوشات والصدامات بين العرب واليهود اشتدت في أواخر الأربعينيات، فكان المسلحون من أهالي القرى يشتبكون مع اليهود هنا وهناك في معارك قوية. ويضيف أهالي القرية بأن اليهود كثيراً ما كانوا يزرعون ألغاماً في مواقع معينة لقتل العرب، وبث الذعر في نفوسهم. يقول أبو بسام:

"الثوار كانوا ايناضلوا في كل مكان، فهانا أجا خبر لأهل ازدود ومخاتيرها ووجهائها مفاده إنو المناضلين في يافا وسَلَمَه فشْ عندهم مؤَن ومواد غذائية، وعلى أثر هاظا الكلام، المخاتير جابوا أحد رجال البلد، وقَلولُو إطْلع على الميذنه، وْناديْ إنوا المجاهدين في منطقة يافا وسلمه بدْهم معونه ومواد غذائيه، طِلع على الميذنه، وصار اينادي أهل البلد، وصاروا يجمعوا هالأكل من الخبز والقمح والمعلبات زي اللحمه والسردين والحلاوه. إنهالت البلد للتبرع، وجمع الاكل، وفرشت البلد حُصُر على الأسفلت شرق البلد، وصارت هالناس تودي. بعدها أجت سيارات شحن من ازدود وخارج ازدود حملوا هالاكل هاظا وراحوا وَدُّو على مناطق القتال. هاظا الإشي صار في شهر اثنين وثلاثه [شباط وآذار] ١٩٤٨، يعنى قبل ما يْخُشْ المصريين ازدود. وبدِّي أقول إنو ازدود واهل ازدود والقرى الثانيه لم تدخر وسعاً في العطاء من أجل الوطن، ومن أجل خدمة الشعب والمقاتلين".[٣٣]

وتقول ام محمد:

"لما جلا الانجليز عن بلدنا، صارت امْناوشات بين اليهود والعرب، كل أهل البلد شروا اسلاح وتسلحوا، اللي عندو جمل باعو، اللي عندو بقره باعها، وفيه من اللي باع ذهب مَرَتو وشرالو بَروده. هالمسلحين كَروا [اشتروا] دار في الرمل عاليه اشْويه زي مقر إلهم؛ منشان إن صار أَقَلَّتْ حاجه او هجوم يفْزعوا، كمان كان لِمْسلحين حاطِّين جرس عند القهوه، اللي على الاسفلت شرق البلد ان صار حاجه ايْرنوا الجرس ايْفَزعوا كل البلد. وكان اوتومبيلات شحن اثنين كانوا دايمن هَناك واقفات عند باب المقر اللي عملوا إلْهُم، مِنْ حَدِّيْت ما ايْرن الجَّرَس كُلُّهيْت أهل البلد لمسلحين يطلعوا ويروحوا على المعارك والنجدات، يروحوا على بيت دراس، على المجدل، على البطاني، وعلى برقه على كل البلاد، وتَتخْلص الْمعركة يرْجعوا على البلد.

يعني مَرَّه صارت معركة في بيت دراس هجموا اليهود عليها وفزعوا أهل بلدنا وراحوا على بيت دراس، انْقتل فيه ناس اكْثير واللي كان ينقْتل، اهل البلد يقولوا عنو شهيد البلد، وعلى

طول اِيْجيبوا على البَرِّيه ويدفنوه، ومِن اللي استشهدوا في معركة بيت دراس محمد صالح زقوت، وذيب أبو زينه، والعبد مكاوي، وكمان واحد من دار السباخي. ولما أجا المصريين عنا صار اليهود يظربوا بالطيارات علينا، ويرموا قيازين [براميل تحتوي على متفجرات] على البيوت، وخَطْرَه انْحرقت دار بصْحابها كُلهم صَبَّحوا ميْتين. كنا إحنا عاملين ملاجي زي السراديب، مِنْ حَدْ مَتيجي الطيارَه ترمي الْقيزان، كل قيزان اِيْفرقع، النِّتفه اللي يقع فيها كانت اتْفرقع، إحنا عاد نُشرُد نتْخبى في الملاجي اللي نعْمَلْهن. ولما الطَياره اتْفظي حمِلْها وتْروح، الناس تطْلع يتْفقدوا بَعَظهم، وما يلحقوا يتْفقدوا بَعَظَهم إلا تيجي طياره ثانيه اِطُبْ ظَرْب وترمي القنابل والقيازين لَمَّن شُو ينْهلكو النَاس هَلكان".[٣٤]

وعن معركة بيت دراس، يقول أبو زكي:

"الْيهود أَجو من ناحية البطاني وبرقه ومن كُبانية [مستوطنة] بيار تعبيا، وهجموا على بيت دراس، اجَتْ الأشارة للمسلحين تَعُونًا، وكان عنًّا في البلد امسلحين متْعَبْيين عنًّا من حمامه، ومن يبنا كُلْهم طِلْعوا راحوا على بيت دراس لنجدة وامساعدة لمْسلحين هَناك، هانا اليهود اتْعبُّوا؛ بعضهم في المدرسة. الساعة عشرة الصبح وصل لمْسلحين، وبعض مِنْهُم طَوّقو المدرسة، اليهود انزنقوا جُوَّا، كل واحد بدُو يطلع، لمْسلحين اِيُطخوا عليه، وصارت معْركة اكْبيره استشهد فيها بدارسه [من بيت دراس] وازدوديه. وكان من جملة لمْسلحين؛ ذيب ابو زينه من ازدود راح هُوَّا وجماعه ثانيين جُوَّا البلد، ابو زينه كان في مكان عالي زي ما تقول فوق السطح في نص البلد، وهُوَّا بطُخ أجَتو اِرْصاصه في صدْرو من اليهود، راح سقط واستشهد اجا اليهود حاولوا يوخذوه بفكْرو القائد، لكن لمْسلحين طَخوا عليهم فدَشَّرو وراحوا. استشهد في المعركة واحد مِشْ فاكر اسمو لكنه اخو احمد الْقرعه، وفيه ناس اتْصاوبت زي خالد كساب ويونس كساب، وفيه كمان واحد اتْصاوب وراحت عينو اسمو عطيه عبد العزيز مسلم ظايل لليوم موجود في رفح، وتْصاوب احمد القصاص، اتصاوب في كتفو والرْصاصتين اللِّي ظلوا في كتفو طلعوهن سنة ١٩٦٠ في غزه، وتْصاوب واحد اسمو على جَخَّه من حمولة الجَّوده".[٣٥]

وتتحدث أم وليد، عن إصابة زوجها خالد كساب الذي أصيب في معركة بيت دراس واصفة الاحداث في ذلك الوقت، فتقول:

"الله يرْحمو كان من لمْناظلين كان حاطِطْ عَلَيّ وانا عمري ١٧ سنه، كانت معانا ظُرْتي، مَرَتو اللِّي قَبْلي، أخذها أرمله اسمها حليمه أم غنيم، كان الها اوْلاد امْناظلين، ابنها الْعَبد ابو نار لُخْرَى تِرْباية خالد كساب، خالد كان أمين الصندوق، أجتهم الإشارة إنو صار هجوم من اليهود على بيت دراس، أخذوا حالهم وراحوا، اليهود لَبْسين حَطَّات حُمُر واعْقلات بدْهُم يخدعوا الناس، صاروا اِيْقولوا لعراقيه اعْرقيه. بيت دراس كانت لسَّه ابْترحل، لكن فيها ظايل ناس، الْيهود أجوا في البلد، منهم اتْخبوا في البلد، لمْناظلين والناس عرْفوهم إنهم يهود، الْتحموا مع بعض، الْيهود كثروا علي الثوار، نزلو في بَعضهم طَخْ، خالد وهُوَّا بطُخ

وبقاوم أَجتو ارْصاصة وتْصاوب، أَجَا الطَّلَق في ثُمُّو، ونِزل الدَّرْس وأخذ الَّضبِّه كُلها، في بنَتْ بيْقولولها بنْتْ ابو شَنب، هاذي كانت كاسرة هيّ وابوها، يعني ابْتسوا عشر ازْلام، على كَلام زَلْمتنا دافعَت معهم، هاذي البنت لَمَّن اتْصاوب شَافتو، قالت مين هاظا؟ لَمَّن شافتو، قالت هُوَّا انْتَ يا ابو كساب، كان معها ابْهيم حَمْلتو وجابتو على ازدود، امَرْكبيتو على لِحْمار ومْداريتو، وَصَّلتلنا اياه.

في هظاك الوقت، إلي ١٧ يوم مجَّوْزه، والله جابو على البيت، لقينا زي شقفة لحمه طالعه، الْسانو طالع مع شقفة لحمه اكْبيره، طَيِّبْ خَط الرَّجعه مقطوع، والَظرب شَغَّال ولقْيامه قايمه، بَعدين انْظَرْبت اهْوايه في القهوة تَعتْ غَبنْ، ايْش بدْنا نعْمَل، ويْنَ انْوديه ويْن انْجيبو، مَفشِّي لا دكاتره ولا اشي، راحو آيَسُوا ورَكَّبوا في سيارِه، جابوا واحد اسمه جميل من ابْلاد شامه، أجا ايْرُد اللحمه اللي نازله، ايْرُدها جُوَّا. الْمهم لَثَّموا ولفلفوا وحَمَّلوا بالسياره، وَدُّوا على غزه على مستشفى الطوارئ في أول شارع عمر المختار، واْتعالج هناك، انا ظليت في ازدود انا وظُرتي اللي كانت معا قبلي، هذيك لَمَّن خالد طلع على المعركة تَعتْ بيت دراس، كانت جَرْة الْميه على راسها، لحْقتهم تجْري، يُومتْ ما راحت النَّجده لحْقتهم عشان تسْقيهم مَيّه. كان الْفَرْد نمْرة خمسة دايماً على جنبها، الزَّلَمه في المستشفى واحنا في ازدود مَقْدرناش نُصْبُر، اجا واحد انْسيبنا اسمو احمد الجوراني امْن الجورة، روحنا معو وظلينا نمشي من شط البحر مَشي من الصبح اوْصلنا بعد العصر أنا وظرتي. رُحنا على المستشفى كان ما يقْدَرش يحكي، الدكتور امْنَبه عليه مَيْتكلمش، قَلْنا اطلعوني من هانا، انا خايف اكل إبرة واروح فيها، ويقولولي مع السلامة، أجو جماعتو واصحابو واجا فايق ابْسيسو، وقلولو خليك هانا وبَرَاقْبَك، احنا يوميتْها اخذنا فايق ابسيسو وبتْنا في دارهم ليله وثاني يوم سَحَبْنا حالنا وروحنا على ازدود".[٣٦]

وتضيف أم وليد بقولها:

"احنا لَمنَّ اوْصلنا ازدود الْقينا الدنيا امْقلقله، وظَرْب الطيارات داير، يعني المنطقة الغربية عند الراس جَنب المدارس اللي غربه كلها راحت؛ دار الصوري ودار حسنه. ظرب القنابل ضَيَّع الحاره الغربيه كلها، انا رَوَّحتْ عند ابوي محمود احمد جبر، الطيارات بظُربن، صرْنا نُشْرد في الليل على الرمل غربه، اللِّي ايْلاقيلو عنْبه يذارى فيها، اللي ايلاقيلو فَحره يفحرها ويذْارَى فيها. ابوي وامي يوخذونا كل يوم انا وخَواتي واخوتي انْروح نتْخبا، يعني لو يجي زَلَمه ايْولع سكاره، ما تدْراش منْ ويْن الظرب اجا قَعَدنا على هالحاله خمس ستِّيام. انا استشهد ابن عمي اسمو عبد الله ربيع جبر، كنا كلنا في حفره وَحَده، اخوتي واخوي وابن عمي والُو اخ اسمه صالح. ايْغطوا علينا وتْصير هالناس تسْتَدعي، والله كنا نسْمع حسْ زَنِّتْها يكْفيك شَرْنا، ازْغار وكْبار منْ حَدْ ما نَسْمع زَنِّت الطياره الا الولد هاذا عبد الله بفدْ من بيْنا وصار يجري، احْنا زَعقنا عليه يا عبد الله يا عبد الله وين رايح؟ قال هاذيني هانَا، فَطْ ولَبَدْ عند العنبه ابْعيد عنا حوالي عشرين متر، الطيارة ظربت لهْوايه قريب منا، وراحت شظيه اجت في خَصرتو الاَّ هُوَّا بيقول: يا ابا.. اخ يا ابا.. ما هُوْ كان بيقول لَبُويه يا ابا، وابويه هُوَّا

اللي رباه، قاله يا وَرَدي عليّ يا ابا، وقام ابوي يِجْري كان عندو اعز امن اوْلادو عليه. لَقيناه الدَّم بسيل وطالعه نِتْفه من خَصرْتو، جبْنا حَطَّه وشاشه ولفينا الولد، في الليل مَا سَدقنا يلْمع اَلنْهار، فحملو ابوَي على لِبْهيم، وروَّحنا على الدار، وابوي اخذو وطلع فيه على غزه عن شَط اَلبحر، وهُوَّا في الطريق طالب منو يشْرب مَيّه، راح ابوي جايبلو نِتْفَة مَيّه بَلَلْ شفايفو، وبعدها اتْوفى على طول. يعني اتْوفى فَي الطريق، ابويي ظلو حاملو حَتى غزه، وعملولو اللازم هَنَاك، ودفنوا في بَرية الشهداء".

وتتحدث أم وليد عن الرصاصة التي أصابت زوجها في معركة بيت دراس، وأخرجها بعد حوالي ثلاث سنوات ونصف من نزوحهم عن قريتهم فتقول:

"إحنا بعد لمْهاجره، قعدنا في بيت حانون، الرصاصه اللي أجت في خالد إشي قال نزْلت في النزيف، وإشي قال ظايله في راسو، فلو ظلت في راسو مَظْلش طيب. فهانا عاد إحنا اَبْنعرفش إنّو ظَلَّتْها، ما بَشوف الا الزلمه وجْهو اِيْصير اسود، ويصير امْزنهر، وإشي زي الدِّمَّل ايروح ويجي، هالدِّمَّل انْبُطُّو وتطْلع هَالْمدِّه منّو ويَسِّكر ويْعاودْ يفْتح، يوم الا هُوْ بقُلِّي: اسمعي يا بنتْ ما دام الدِّمَّل كَرشَتو موجوده، بظَل اَيْعَبِّي، فَإنت مَتْرَّديش عليّ، فَبكُل جُهْدك اطلعي كَرشَتو، يعني مَسورتو، والله لمَّا كانت تُوجعو، كان لا يوكل ولا يشرب، والله حَط راسو على الحَيط وحَطيت إيدي على اجبينو بدِّي اطلع هالمسوره اللِّي في الدِّمَّل، إحنا بنْقُلْها مَسوره، وفي ناس بيقولولها الإمايه. هان مَعايا ملْقط تاع الشُّوك، حَطيت الْملقط جُوّه والاَّ الملقط فيه إشي صلب، أنا أجا على بالي واْذكرت اَلطَّلق اللِّي أجا فيه ايام معركة بيت دراس، صار الْها ثَلْث اسْنين ونُصْ، نَزَّلتْ الملقَط لَجُوه وكَبَست، واقوم نَتعْها والا هي الرصاصة القدمانيه، الحبه الجوانيه، والله كانت امْخَذرْنه خظره خظره، ونْها مطبوقه اشْويه وملياناه عظم من اسنانه، مَحشيه حَشي، قُلْتلو خذ شوف، قال: هِهْ هاظا هِيْ ونُّو امْلاَقي الْقيه وَقْتها".

وحول معركة بيت دراس الشهيرة، يقول أبو بسام الذي شارك فيها:

"معركة بيت دراس صارت في ١٩٤٨/٣/٢٩، حيث احتل اليهود بيت دراس القريبة من اسدود وهبّ أهالي اسدود لنجدة القرية حيث كان عددهم ٤٥٠ مسلحاً وكنت معهم واشتبكنا مع اليهود والإنجليز حيث دُحر اليهود عن بيت دراس بعد أن تم قتل العديد منهم. وقد استشهد الثائر ذيب أبو زينة خلال المعركة، وأصيب حوالي عشرين بجروح".[٣٧]

وممن شاركوا في معركة بيت دراس وكان شاهد عيان عليها، كان أبو طلال، الذي وصف تلك المعركة بقوله:

"كان المسلحين في المعركة خمسين واحد، المعركة كانت في وقت الربيع سنة ١٩٤٨، كنت حامل بارودتي أنا وابن عمي. كان قائد معروف ومسؤول اسمه محمد عبد الرحمن زقوت أبو مصطفى، اليهود احتموا في الزرع وكانوا يطخوا علينا ونطخ عليهم على حدود بيت دراس، المعركة كانت قوية واستمرت ست ساعات من الساعة عشرة الصبح ظلت

حتى العصر. كان من المناضلين معنا اللي ابلى بلاءً حسناً في المعركة، ذيب علي أبو زينة واستشهد في المعركة ومن اللي استشهدوا كمان محمد صالح زقوت، ومن إللي تصاوبوا عبد العزيز عيسى زقوت تصاوب في إيده، وتصاوب عبد الله عبد الرحم زقوت".[٣٨]

ومن المعارك التي دارت حول اسدود قبل دخول الجيش المصري، معركة أبو سويرح، ويذكر الحاج شحادة حميد، أنه عاصر معركة أبو سويرح شمالي اسدود، ويذكرها جيداً، حيث دارت معركة حامية الوطيس بين الثوّار من جهة، والإنجليز وعصابات الصهاينة من جهة أخرى أسفرت عن مقتل ٤٥ جندياً صهيونياً وجرح العشرات إلى درجة أن الإنجليز حضروا إلى اسدود وطلبوا من المخاتير مرافقتهم إلى عرب أبو سويرح لتمكينهم من أخذ الجثث مشيراً إلى أنه أحصى بنفسه ٤٥ جثه لليهود، وبينَّ الحاج شحادة أن أحد الثوّار ويُدعى عايش أبو شميط من عرب أبو سويرح ساهم في قتل معظم اليهود ببندقية في هذه المعركة الشرسة ويتابع المختار حميد حديثه قائلا إن المواطنين في ذلك الوقت كانوا يبيعون أغلى ما يملكون من حلى ومصاغ نسائهم وأثاثهم من أجل شراء السلاح والذخيرة موضحاً أن حوالي ٤٥٠ قطعة سلاح كانت في أسدود، وبمجرد أن ينادي أحدهم ("نجده يا أولاد") حتى يخرج جميع المُسلحين للدفاع عن البلدة أو القرى المجاورة.[٣٩]

لم يسلم أهالي اسدود، وسكان القرى المجاورة من غدر اليهود وبطشهم، فقد كانوا يقومون بزرع الألغام، ونصب الكمائن بهدف قتل أكبر عدد ممكن من العرب وتخويفهم، وبث الزعر في قلوبهم. في هذا السياق، يقول أبو وصفي:

"كنت انا بَشْتغل في سكة الحديد أيام لِبْلاد، كنت سارح الصبح، لما اِوْصلت على ظهرة الجميزه شمال شويه وقريبه من سكرير، صارت حركة البسكليت بطيئه، كنت أروح واجي على بسكليت. التفتت على يميني لقيت سلك داخل تحْت الأسفلت، من وين هالسِّلك هاظا، فكرت، عاودت قُلت آا هاظا لازم اِيْكون فيه لُغم. هانا انْزلت على البسكليت، ونَزَّلتْ رجلي وَتَريْهَا أجت فوقَو، انا انْزلت على أساس اقُص السلك، عَشان مَيحصلش حادث، فَطْلت الزَّرَّديه من جيبة البسكليت، ومَدِّيت ايدي على السلك، اسمعتو زي طلق البارودة، إصْحيت إلا أنا في شَقَّه ثانيه، انْعزقت في شقه ثانيه والتْراب بنْزل على راسي، وسْمعت هالطَّخ نازل رَشْ، أنا قُمت واجيت إمغرب، لَقيت على بيارَة المُفتي، لَقيت ثلاثه من عَمالنا سبقوني؛ اللِّي هُمِّه محمد مصطفى ابو عطوان، وعبد الفتاح ابو حرب، وعيسى النوري، كانوا جايين على البسكليتات، قعدت اجري وراهم، وانْزَعَق عليهم مَترحوش مَتْرحوش، لكن مَلْحقتهُمش..."،

"...أنا اللغم اللِّي طار فيّ كان في غيره اثنين لَطَّاش، هذولا العمال شَفوهم قعدوا المساكين يشتغلوا فيهم، طلوهن وحَمَلهم محمد ابو عطوان بدُّو اِيْوديهم على القيادة في ازدود عند الثوار، مع اللِّلخْمه كنُّو واحد منهم خَبَّط على السلك اللِّي بجُر على الارض، فهانا أبو عطوان وِقِع على الارض وطاروا فيه الاثنين الثانيين، اِوْجوهُم انْحرقت، أنا جيت اِجْراي، لَقيت لحمو

بتْحرك زي لحم القرقعه إتْفَغَّص زي حبة البندوره، قَعَدت أَلَقِّطْ في لحمو وأجمعو عشان أَوَديه على البلد، لَمِّيت لحَم الزَّلّمه اللي هُوّا أبو عطوان وَقَعَدت ادَوِّر مطْرح الحادث لَقيت بطارية اليهود نسيينها وراهم، ولَقيت كوم فَشك فاضي. هاذا الفشك اللي كانوا ايطُخوا فيه عليّ، اطَّلَّعت حَوَليّ لقيتهم شاردين بيجي عشرين واحد على طرف الكُبانيه، [مستوطنة جان يبنه]. هاذا الحادث صار في أواخر ١٩٤٧، اليهود ناصبين إلغومه لَلْباص، باص بطْلع من ازدود مَلان عمال عرب، كانوا هُمّه قاصدين إنو الباص يتْفَجَّر والعرب ابْداخْلو، لكنَ لِهْوايه اجت في ابوعطوان الله يرحمه، والله بإيدي لَمِّيت لحمو".[٤٠]

الجيش المصري في أسدود

أعلن دافيد بن غوريون يوم ١٤ أيار ١٩٤٨ قيام "دولة إسرائيل" على شطر من أرض فلسطين العربية، وشكل حكومة مؤقتة لها، وسارعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى الاعتراف بها، وتلاها الإتحاد السوفيتي، ثم توالت بقية الاعترافات من الدول الأخرى المؤيدة للصهيونية.[٤١]

وكانت بريطانيا قد أصرّت على تنفيذ قرارها بالانسحاب النهائي من فلسطين بتاريخ أقصاه ١٥ أيار ١٩٤٨، وبدأت بوضع مُخطط يتلخص في تمكين العصابات الصهيونية من الاستيلاء على أكبر عدد من القواعد والمُعسكرات البريطانية في فلسطين خلال فترة وجود القوات البريطانية، وبدعم منها. وهكذا بدأت القوات البريطانية تنسحب وتقوم في نفس الوقت بتسليم السلطات الإدارية إلى الوكالة اليهودية، بالإضافة إلى تسليمها المُعسكرات والمُستودعات والمطارات، حتى آخر أيام الموعد المُحدد للانسحاب.[٤٢]

وقبل دخول الجيوش العربية إلى فلسطين،[٤٣] كانت القوات البريطانية تمارس أساليب القمع والاضطهاد بحق الفلسطينيين، فقد قاومت هذه القوات إدخال الأسلحة إلى المناطق العربية، ودخول المتطوعين العرب إلى فلسطين، وبالتالي، كانت القوات العربية الفلسطينية الموجودة في فلسطين قبل دخول الجيوش العربية، مقتصرة على المناضلين المحليين الذين يفتقرون إلى السلاح والذخيرة، والقيادات الفعّالة الخبيرة، والقيادة الموحدة التي تنظم عملياتهم وتوجهها، بالإضافة إلى تعرضهم للمُلاحقة والسجن أو الإبعاد من قبل السلطات البريطانية. وفي الوقت الذي كانت فيه القوات الصهيونية تزداد قوة واستعدادا، وتوسع مناطق احتلالها، كانت المقاومة الفلسطينية تضعف وتتقلص وتخسر القدرة على المبادأة، وتتحول إلى الدفاع في محاولات يائسة للمحافظة على مواقفها.[٤٤]

وهكذا، عندما دخلت الجيوش العربية فلسطين، كانت معظم المدن الفلسطينية قد أصبحت تحت سيطرة الصهاينة.[٤٥]

كان الجيش المصري يتكون من ثلاث كتائب هي: الكتيبة الأولى وكان رئيس أركانها زكريا محي الدين، والكتيبة السادسة، وكان رئيس أركانها جمال عبد الناصر، والكتيبة التاسعة، وكان رئيس أركانها عبد الحكيم عامر. توجه قسم من هذه القوات إلى مدينة غزة، وقسم ثاني إلى منطقة المجدل، وبقي قسم ثالث في العريش كقوة احتياط.[٤٦]

وتقدمت القوات المصرية باتجاه غزة مساء يوم ١٥ أيار ١٩٤٨، وفي ١٩ أيار تابعت تقدمها شمالا، وهاجمت مستعمرة "يد مردخاي" (منطقة دير سنيد)، وبعد اشتباكات ومعارك عديدة بين القوات المصرية والإسرائيلية، نجحت القوات المصرية في السيطرة على المستعمرة، ورفعت عليها العلم المصري يوم ٢٤ أيار ١٩٤٨.[٤٧]

وأثناء معارك "يد مردخاي"، قامت كتيبة مصرية أخرى بالتقدم نحو المجدل، واستطاعت أن تحتلها بدون مقاومة. وفي ٢٤ أيار ١٩٤٨ تم احتلال عراق سويدان، القريبة من المجدل من الجهة الشرقية، وبذلك سيطرت القوات المصرية على الطريق المؤدية إلى المستعمرات اليهودية الجنوبية.[٤٨]

كانت الخطوة الثانية للقوات المصرية، احتلال أسدود، ففي يوم ٢٩ أيار ١٩٤٨، تحركت القوات المصرية نحو أسدود واحتلتها، وعندما حاولت طائرتان إسرائيليتان مهاجمة القوات المصرية، تصدت لها وسائل الدفاع الجوي، وأسقطت إحداهما. وفي اليوم التالي، (أي، ٣٠ أيار)، بدأت المدفعية المصرية تقصف المواقع الإسرائيلية.[٤٩]

وجاء رد فعل القيادة الإسرائيلية بأن قررت شن هجوم معاكس لتدمير القوات المصرية الموجودة في منطقة أسدود، وقد بدأ هذا الهجوم عند منتصف ليلة ٣ حزيران ١٩٤٨، إلا أن القوات المصرية تصدت وواجهت الإسرائيليين بمقاومة عنيفة مما أدى إلى تكبد القوات الإسرائيلية خسائر كبيرة بلغت نحو ٤٠٠ قتيل وجريح، وفشل الهجوم المعاكس، وانسحبت القوات الإسرائيلية.[٥٠] يقول ابو العبد:

> "الجيش المصري أجا على البلد الساعة ١١ في النهار، ولَمَّن دخلوا البلد إطمأنينا، وقلنا خلاص صارت عِنَّا قوة وجيش، كل الناس لَقوهم، كان مُدِّتْها الملك فاروق، المصريين حطوا وعسكروا في شَمال البلد، وشمال غرب عملوا استقامات وتحصينات، وكان مَعْهُم ذخيره وسْلاح ودبابات. وقبل ما ييجي المصريين كان عنا في البلد اسْلاح اِمْوزَّع على كل الحمايل؛ كَل حَموله عندها اِمْسلحينها يسْهروا ويحرسوا البلد، تَنُّو أَجو المصريين على البلد، كِثْرْ الظَّرب وكِثْرَت الغارَات، راح اليَهود لَفُّولْهُم لَفْ، أَجو من كبانية نيتسانيم، وفيه دبابات لَلْيهود اجنْ من شَرْقه. الدبابات صارن يُظربن على البلد، هانا صارت المعركه، الناس وقْفَتلْهُم، الْكل طِلَع اِيْدافع عن البلد، واِسْتشهد ناس من أهل البلد وناس من الغُربيه، استشهَد محمد عبد

العزيز حسن، وِاْستشهد واحد اسمو محمود الناطور هُوَّا وعْيالو، استشهدوا ليلة المعركة. وفيه واحد اسمَو اِمْحمد اِغْنيم هاذا اِمْن البطاني برظو استشَهد، بعدين إحنا مَسْلِمْناش اِمْن الغارات وظّرْب الطيارات، كانت الطَياره تيجي اِتْزن وين ما شافت ناس تُظربهم، وترمي قيازين، اِتْصير هالناس تُشْرُد على الحواكير. وَاللَه اِكْثير مِنْ لِمْهاجرين استشهدوا؛ مِن زرنوقه وِيبنا والقبيبه ومن عاقر، ومِنْ هاللي اِتْعَبُّوا وأَجوا علَى البَلد، قَعَدن الطيارات يُظربن اكثر من ٣ أسابيع، مَوَّتوا ناس اِكْثير، وهدَّمت بيوت. أنا والله الطياره هَدَّتْلي ثَلْث اِقْواس من بيتي، رَمت قيزان أجا في الدار اللي ورانا دار آمنه العروقي اِنْهدت الدار عليهاَ وعلى اِوْلادها".[٥١]

ويصف أبو حيدر، المعركة التي حدثت يوم الثالث من حزيران ١٩٤٨ بقوله:

"عرفت هذه المعركة باسم معركة الرمل، ففي ١٩٤٨/٦/٣، هاجمت القوات الصهيونية اسدود من ناحية الغرب والجنوب الغربي، أجوا من نيتسانيم، ومن مستوطنات في الشرق، ومن الشمال من ناحية يبنه، فيه مجموعة منهم دخلوا على بيت محمد الناطور وقتلوه مع جميع أفراد أسرته بالسكاكين. كانت جريمة بشعة، صبحي ابن محمد الناطور نجا من المذبحة بإعجوبة، ثم دخلوا بيت أحمد العروقي فقتلوه مع أفراد أسرته، في هاده الوقت، أبويا كان يصلي الصبح في بيارة المتبولي على الجسر، أبويا سمعهم يقولوا، كديما، كديما بالعبري، يعني تقدم، تقدم، على طول أبويا سحب حاله وتوجه للبلد وخبّر الأهالي والقادة أنو اليهود جايين من غربه هاجمين على البلد من ناحية الرمال، فهب الجميع، المناضلين والمصريين واشتبكوا معهم وأوقعوا بهم خسائر فظيعة حوالي ٥٠٠ يهودي ماتوا في معركة الرمل".[٥٢]

ويذكر أهالي اسدود أن المصريين قرروا الهجوم على مستوطنة "نيتسانيم" التي كانت من أقوى المواقع التي اعترضت القوات المصرية في تلك المنطقة.

بدأ الهجوم المصري على نيتسانيم صباح يوم السابع من حزيران ١٩٤٨، وحاول الإسرائيليون التصدي لهذا الهجوم، إلا أنهم فشلوا في ذلك. واستسلمت نيتسانيم بعد ان فقدت عددا كبيرا من القوات المدافعة عنها، وتم أسر ١٢٠ مقاتلا منها، وقد قام الإسرائيليون بعد ذلك بثلاث محاولات لاسترجاع نيتسانيم يومي التاسع والعاشر من حزيران، ولكنها باءت كلها بالفشل.[٥٣]

ويضيف أبو حيدر:

"بعد معركة الرمل بأربعة أيام [٧ حزيران ١٩٤٨]، صارت معركة نيتسانيم، نيتسانيم هاده كانت مستوطنة مُحصنة بشكل فظيع جدا، كانت قرب حمامة، جنوب جنوب غرب

اسدود، وكان فيها حوالي ١٨٠ من الجنود الصهاينة. المصريين مع المناضلين هجموا على المستوطنة، وكان مع المناضلين أخويا محمود حسين عوض الله، الذي أصيب في صدره بطلقة، وظلت في صدره حتى وفاته في غزة، وفي النهاية سقطت نيتسانيم بأيدي المصريين وأسروا كل اللي كانوا فيها".

ويقول أبو طلال:

"مستوطنة نيتسانيم كانت مُحصنة وقوية، تطل على الشارع العمومي جنوب غرب أسدود، ولمن اجا الملك فاروق يزور الجيش المصري، راحت المستوطنة أطلقت النار على موكب الملك. فهانه الملك أعطى أوامره للقوات المصرية بإزالة هذه المستوطنة، لكن المصريين لوحدهم مقدروش يقتحموها، فاستعانوا بالمقاومة، بالمناضلين وعملوا خطة ناجحة المصريين مع المناضلين، وصار الهجوم والإشتباكات وكانت النتيجة إنو المصريين قدروا يستحلوا المستوطنة".[٥٤]

الفصل الثالث:

سقـوط اســدود

انسحاب المصريين

عندما أصدر مجلس الأمن قراره رقم ٥٠ بتاريخ ٢٩ أيار ١٩٤٨، والقاضي بوقف إطلاق النار لمدة أربعة أسابيع، قبلت جامعة الدول العربية هذا القرار، وأبلغت مجلس الأمن قرارها بالقبول في ٢ حزيران ١٩٤٨. وفي صباح ١١ حزيران، توقف القتال في فلسطين لمدة أربعة أسابيع، ورغم التزام العرب بهذا القرار إلا أن إسرائيل استغلت هذه الأسابيع الأربعة أفضل استغلال لإعادة تنظيم قواتها المُسلحة وتدريبها واستيعاب العتاد الحربي الذي بدأ يتدفق عليها من أوروبا، وأصبح بإمكان القيادة الإسرائيلية الانتقال من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم.[٥٥]

وخلال فترة الهدنة الأولى هذه (١١ حزيران – ٩ تموز ١٩٤٨) خطّط الإسرائيليون لقطع خطوط الإمداد والتموين المصرية وإخراج المصريين من أسدود، والقيام بعدة هجمات ضد العرب بهدف احتلال المزيد من القرى الفلسطينية، وإجبار سكانها على الرحيل. وفعلا نجحت القوات الإسرائيلية يوم الثامن من تموز ١٩٤٨ في احتلال قريتي بيت عفه وعبدس، وجزء من عراق سويدان، ولكنها ما لبثت أن انسحبت تحت ضغط النيران المصرية.[٥٦]

وفي يوم ١٥ تموز ١٩٤٨، أصدر مجلس الأمن قراره رقم ٥٤ والقاضي بفرض هدنة ثانية في فلسطين، وقد بُدئ بتطبيقها يوم ١٨ تموز، بعد أن تمكنت إسرائيل خلال عشرة أيام من القتال من احتلال مساحات أخرى من الأرض، ومن تحسين مواقعها وخططها، ولم يجعل مجلس الأمن لهذه الهدنة زمنا مُحددا.[٥٧]

وكعادتها، فإن اسرائيل لم تلتزم ببنود الهدنة الثانية، وتابعت عدوانها وتنفيذ خططها، فقد شنّت هجوما على الفالوجة ضد القوات المصرية في ٢٧–٢٨ تموز ١٩٤٨، ولكنه أحبط. كما هاجمت في الوقت نفسه عراق المنشية، وأخفقت في هجومها. وقد ازدادت عمليات الهجوم الاسرائيلية ابتداءاً من ١٥ تشرين أول ١٩٤٨، حيث قامت القوات الجوية الإسرائيلية بقصف مطار العريش وغزة وبيت حانون والمجدل والفالوجة واسدود، بهدف إضعاف القوات المصرية وإرباكها وإجبارها على الفرار. ولم تجد القوات المصرية أمامها، بعد تدهور الموقف، سوى الانسحاب، لأنهم أصبحوا مُهددين بالحصار والعزل، فانسحبوا على الطريق الساحلي في اتجاه الجنوب، وفرّ معهم السكان قبل دخول الإسرائيليين اسدود في ٢٨ تشرين اول ١٩٤٨.[٥٨] في هذا السياق، يقول أبو حيدر:

"الأوضاع تدهورت بشكل كبير، وفي ١٩٤٨/١٠/٢١، استولت القوات الصهيونية على دير سنيد، وأغلقت الطريق. المصريين حسوا حالهم محاصرين و معزولين، وإنو وضعهم أصبح في خطر شديد، فانسحبوا يوم ١٩٤٨/١٠/٢٤، عن طريق شاطئ البحر وذلك بوضع شبكات من الصلب، كيلا تغرز سيارتهم في الرمل. أجبروا الناس المهاجرين من اسدود وغيرها على فرد الشبك على الشاطئ حتى غزة، وخلوهم بالإجبار يحملوا أسلحتهم، يعني أسلحة المصريين، وامتعتهم ويحطوها في السيارات".[٥٩]

ويضيف أبو حيدر عوض الله بقوله:

"بعد إنسحاب القوات المصرية من بيت لحم والخليل وسيطرة القوات الصهيونية على [بئر] السبع والنقب، جرت مفاوضات بين الملك عبد الله والإسرائيليين، أشار إلى مضمونها الكاتب الإسرائيلي توم سيغف في كتابه (الإسرائيليون الأوائل ١٩٤٩) قائلا: (أكد الملك عبد الله الذي كان يسعى للسيطرة على قطاع غزة ورغبته في إيجاد ميناء لمملكته على شاطئ البحر، رفضه بقاء القوات المصرية على أرض فلسطين، وخاطب الوفد الإسرائيلي: خذوا غزة أو اعطوها للشيطان، شرط ألا تتركوها في أيدي المصريين)".

ويقول ابوبسام:

"ازدود المصريين تركوها وما اعطونا خبر. أنا رحت على المجدل عشان اجيب الدكتور لَبُويه، لقيت الدكتور الغلاييني لقيته شارد في بيارة العلمي في نعليا هُوّا وناس من المجدل، سألني عن ابويه، قُلتلو انا جاييك عشان أبويه. قَلّي يعني انا معقول أروح في هالحرب والظرب والغارات، وين أروح، المهم انا ارجعت مشي على ازدود، ولِسَّه كان المصريين دابين ازدود والمجدل. والله انا ماشي لقاني واحد في حمامه اسمه حسين ابو شاويش مختار برقه، سألني عن أبويه وقَلّي تعال، معايه راسين فجِل وحبة زتون وحبة دقه، تعال نوكلها تحت هالشجره، قُلتلو أنا بدِّي الحق أشوف أبويه، قَلّي اسمع بَشد على هالفرس إلك وتِركب وتْروح فيها على ازدود قَلتلو اِكْويس. والله شَدْ على الفرس تَعْتو واركبت واجيت رايح، خَشَيت على ازدود لقيت اختياريه اثنين واحد اسمه عبد الرحمن عبد الوهَاب وواحَد من يازور اسمه الشيخ أحمد حامد، قُلتلهم كيف الختيار؟ قَلولي والله تعبان وبسْأل عنك، والله إنو بتْنفس من بيت الروح. ليلتها بَرضو الطيارات صارن يُظربن، المغرب اِتْوفى ابويه، طبعاً اَلصُّبَحيات اعْملنا اللازم إلو، ودفناه، وكان فيه حوالي ٣٦ واحد استشهدوا من المهاجرين وأهل البلد كلهم دفناهم..."

"...إحنا إعملنا العزا ثلات تيام وما شفنا إلا الجيش بروح وبسحب، أنا مَرَّه أتواجد في العزا، ومره اتواجد عند الجيش، ثالث يوم من عزا ابويه بدا الجيش يرحل في ١٩٤٨/١٠/٢٦. في واحد اسمه إبراهيم أنور كان حاكم إداري بين البلد والجيش، قلتلو إيش هاذا؟ قَلّي متخفوش، والله اِركبت الفرس اللي عندي، ورحت رايح في البلد ازعق واقول: يا ناس ارجعوا يا ناس

متخفوش يا ناس.. يا ناس، هاللي حامل أَوَعيه على بقرته وعلى حماره.. حاله الله لا ايْوريها لَحَدَنْ، بعد هيك رُحت على مبروك بيك هذا كان مسؤل مصري في بيارة أحمد حسين صالح، قلتلو يا بيك إيش اللي بيصير؟ المُهم ارجعنا على البلد، والمغرب اتْجمعنا مع أهل البلد منهم الشيخ محمود نجم، ها شو رأيكم انْسلم ما انسلمش، نرحل ما نرحلش. الناس حالتها امضعضعه، ومش مُطمئنه لا على ارواحها ولا عرضها ولا على اولادها، والجيش سحب، واللي خوَّف الناس بزياده وخلاها ترْحل الكلام اللي سمعوه عن مذبحة دير ياسين، وإنهم هَتكوا العرض، وبعدين ظرب الطيارات، فالناس مَلَقَتش فايده طِلْعت ".[٦٠]

الرحيل والنـزوح:

تقول أم محمد:

"لَمَّن هاجرنا كانت الدنيا العصر، بعد وذان العصر ما شُفنا إلا المصريين برْحلوا، تَرَحلوا المصريين، كان سلْفي مَعْهم مُمَرض، اجا الا هُوْ بيْقول: المصريين بيرحلوا، يالله ظُبوا اواعيكُم وحْظُرُوا حالكو، الناس منْحَدْ ما شافت اتومبيلات المصريين بيْرحلوا صارت الناس ترْحل معاهم. بعدين واحْنا كَمان في البلد الناس سمعوا عن أهل دير ياسين، قالوا اليهود مَرقوا على دير ياسين وذبحوا أهلها، وكانو يمرقو على لبيوت على المره ويْبُطوها، كمان اجا واحد من يازور وخَرَّفْنا وقال "في اللد والرمله كان اليهود ايْخُشُّوا في الجوامع ويْخلونا ننبْطح ويْخبطوا علينا، بعدين يقتلوا اللي يقتلو. الناس طَفْشَت وشَرْدت، فالناس في ازدود خافَت، وقالوا ان ظلينا في البلد ابْيقتلونا اليهود زي ما عملوا في دير ياسين، فصارت الناس ترْحل.

صار اللي عنده حماره حَمَّل عليها، اللي عندو جمل حمل عليه، اللي معندوش حاجه حَمَل على راسه، إحنا حَمَّلنا على جملنا وزينا زي غيرنا نجْري. ما صارت الدنيا بعد المغرب إلا إحنا في حمامه، بتنا في حمامه في الخلا، زلمتنا قَلْنا أنا بدي اروح ارجع ثاني على البلد، رجع وجاب نقلة أواعي واجا علينا في حمامه، راح قَلْنا كَمان مَرَّه بدي ارجع على البلد، اجيب كمان نقله قَلُّو ابوه يابني مَترْجَعش لَحْسه يُقتلوك، قَلُّو لا بدي ارجع، والله ورجع وجاب نقلة كيسين قمح وشوية اغراض. بعدها اليهود دخلوا البلد، اللي طِلع طِلع واللي ظَلْ ظَلْ، اليهود لموا هالشباب واخذوهم على سجن عتليت، والختياريه والعواجيز رَكبوهم في هالباصات لحد آخر حمامه قريب من المجدل، وفَلَّتوهم قَلولهم ياالله روحوا على فاروق هاذي هِيّ الطريق. إحنا اوْصلنا المجدل وحطينا اغراضنا فيها، بعدين رحنا على هربيا. زلمتي رجع على المجدل منْشان ايْجيب بقية لغْراض، إلا المصريين زقطوه هُوَّا وَكَمْ واحد قلولهم تعالَوا بدكوا اتحملوا الشبك والسْلاك وتفردوه على شط البحر عشان الدبابات يمْشن عليه، قَلْهم زلمتي يا جماعة مَنْتوا شايفين كيف الوضع، انا امْدَشِّر أبوي وعيالي وجاي اوخذْ بقية اغْراظنا، والله طَبُّوا فيهم ابْهالكَرَبيج ظَرْب، واخذوهم، صاروا يحملوا هالشبك وصناديق الجباخانه يعني اللي فيها سلاح، وإحنا مرميين تحْت جميز هربيا نسْتَنَّه ثلاتّيام واحنا في

هالسَّقْعه وهالبرد مرميين وهُوَّا مشْ جَيِّينا. قُلْنا خَلَص اليهود قتلوالزلمه ومات، وِشْويه واللا هُوَّا جاي، وكاينين شردين اِشْراد هُوَّا وكمان ناس كثير من بلدنا.

قلنالو إيش الدَّعوه، ليش اتْأخرت؟ قال مسكونا المصريين واجبرونا لازم نحْمِل الشبك والسِّلك لأنو الاتومبيلات اَبْيمشنش في الرمل، صاروا يفردوا شبك واسْلوك على الرمل والدبابات يمشن فوقهن، المُهم صار أهل هربيا يرحلوا ورحلنا معهم. كان الناس وهُمّه امْهاجرين يكفيك شرهم حالة الويل حالتهم، اللي يُقْصفلو عودين حطب، ويعجنلو ارْغيفين ويخْبزْهن ويوكلْهن، واللي مَعندوش خُبز يكفيك شرو ميْتيْن امْن الجُّوع، هالزْغار ايْسَرْخن، واَلله انا كانت معَايا بنت ارْغيره، حياة عمي ايْقُلّي يا بنت ارْميها، قُلْتلو كيف ارمي بنتي، وقَعَدت أَصَيِّح منْ كُثر مَقَلّي ارْميها، ومَرَدتشْ عليه وظلت بنتي معي. كانت الدنيا سقعه، واحنا انْرُج رَجْ امْن البَرد تحْت هالجميز مشْ قادر الواحد يوكل اللقمه، في هظاك الوقت، بعد هربيا إطلعنا على غزه، إشي راح على جبالِيا، وإشي هانا وإشي هانا، هالناس ما حد دريْ عن حَدْ، بعدين صارت لكْنوبه والمعسكرات لَلاَّجئين لِمْهاجرين وقعدوا فيها لَحَدِّيْت اليوم".[٦١]

أما أم خالد فتقول:

"قَبل مَنْهاجر ابثلثتِّيام [بـ ٣ أيام] أجو الناس، وقَلولنا اوْلادْكو ماتوا، وإشيْ قَلْنا اوْلادكو شَردوا، وناس تْقول اتْهفتت الدَّار فوقهم، رَوَّحوا الناس على دورهم وَانَا في داري جوا قاعده لَحالي، وأجا زلمتي، هَوَّدْنا انْدَوِّرْ على هالوْلاد في الثرايد. لقينا الدار هافته فوقهم، سقف البيت هايل عليهم، وفي دار على تَلاهُم بَقى فيها سَبَع تنْفار نايمين وزلمتهم قاعد في المقعد، أجت الطياره وظربت ماتوا كلهم، هاظولا من حمولة المناعمه. إحنا راح منَّا خَمْسه؛ ابني لِكْبير اسمو عطيه البقري وابني الثاني رمضان والثالث عبد الله، وكِنِّتْنا اسمها فتحيه وبنْتها الزغيره كانت على إدِيْها، السبع تنْفار جيرانا واحنا خمسه كلهم راحوا من ظرب الطَيارات. ويش بدِّي أحكي، اوْلادي راحوا وكِنِّتْنا وبنْتها راحوا. أنا مَظَلّش فيّ عَقِل، صِرْت اقول ياوَرَدِيه ياوَرَدِيه.

وبعد ثلتِّيام اطْلعْت برِّه، لَقيْت هالناس ابْتحمل مشْ داري شُو اللَّخَّه، بَقُول مالكو ؟ قَلولي اطْلعي ارْحلي، وين بدنا نَرْحل؟ قالوا على حمامه، وَلاَّ انا شَدِّيت – الله ايْعزك– على هالحمار، وحطيت هالْحاف، واخذت بنتي في حُظني، وجوزي ظل في البلد، قال انا بدِّيْش ارحل، سَحَبْنا حالنا وجينا رايحين. اطْلعت انا واخو جوزي، وقَلُّو جوزي يا خوي دير بالك على بنتي ومَرتي، والله اطْلعنا على اَكْروم حمامه، بتْنا بيجي ليلتين، وبعدها أجو قالو ياالله ارْحيل. عالم زي التْراب، هاظا نايم هانا، وهاظا مرمي هانا، عالم عينك ترى النور، مخاليق ابْتنعدِّش ولا ابْتنحصي، ازْغار وكْبار، الزغير ايْصَيّح ولكْبير ايْصَوِّط، والزلام تُلْطُم على اوْجوها، لا بقي معانا فتّه نوكلها ولا حاجه، والله أنا قَعَدت بيْجي أربع تِّيام ما ذُقت الوكل، فشْ مَعايا لاقرشْ ولا تَعْريفه، كل اشي ظَل في البلد، ظَلينا نمشي مع شط البحر طول طول، لَمَّا اوْصلنا تَحْت الشجر اللي نَحيْت الشيخ عجلين، هناك الْقيت جُوزي. راح جَبلْنا أكل

انا وبْنتي، بعدين أجو الزلام، واخذونا كل ثلاث اربع عِيَل ف خِيمه. كَنا انا ودار ابراهيم ودارعبد اللطيف كُل مَنْهو عَمِّلو شَقَّه اِيْحُط بَطَّنيه بينو وبين اِزْفيقو وينام في القُرنه. بعدين جابوا خِيَم اِزْغيره ابو الثلاث ولَبو الاربعه، اربع تِنْفار. اجا جوزي وقال طَلَّعوا خِيَم ازغيره، قومي تَنْقوم على خيمتنا".[٦٢]

ويقول أبو محمود:

"الْبلد كلها طِلْعت، مَظَلِّش إلا هالختياريه وَكَمْ واحد من هالشباب. اليهود دخلوا البلد وكنا فيها حوالي ١٥٠ نَفَر، اليهود مسكوا واحد قَلولو اِطْلع على الميذنه نادي وقُول: يا أهل البلد كل واحد يطلع على الاسفلت عند قهوه غبن. راح طِلع على الميذنه وقال زي ماحكولو، هاذا اسمو علي الطرشاوي، والله أنا اِطْلعت مع هاللي طِلْعوا وتْكَوَّمْنا كلنا كوم واحد. اليهود كل واحد بارودتو معو امْصوبين علينا، قعدونا، النسوان علَى شقه والزلام على شقه. أجا اثنين من اليهود قعدوا اِيْفُرُّوا بيْنَّا اِيْنَقُّوا هالشباب، انْت قُوم اِقْعُد هناك، ونْتَ ونْتَ، نَقُّوا ييجي ٦٠ واحد امْن الشباب. وبعد ما خَلَّصوا، قَلولنا رَوْحُوا، رَوَّحْنا كلنا الْعصر، وثاني يوم رجعونا مَحَلْ مَكُنَّا، كل واحد عارف مَحلو. الاختياريه على شقه، النسوان على شقه، والشباب على شقه، والله ما شفنا إلا هالباصات جايات.

ورَكَّبوا هالشباب، وَمْعْرفناش إنْ هُمَّه شَمَّلوا ولاَّ قَبَّلوا، بعدها هاللي ظَلْ دَبُّونا في هالباصات وطَيَّحونا بين حمامه والمجدل، قعدوا اِيْطخوا واِحْنا صرْنا نِجْري والطُّخ فوق روسنا يكفيك شَرْنا، ظلينا نِجْري حتى اِوْصلنا المجدل، وبعدها شالت شِيله وَحَده، المجدل والقرى اللي حَوَلِيْها، وبعدها كلهم طلعوا، الكل راح على غزة. الستين واحد اللي أخذوهم، قعدوا سِّتْشُهر؛ منهم واحد اسمو عبد الحليم عبد الحميد حسن هاذا ابن عمي، وفيه واحد اسمه اَخْمَيسْ زقوت، ومحمد الحاج عبد الرحمن زقوت، وعطيه عبد الحي زقوت، اليهود كانوا اِيْشغَلوهم، وبعد الستشهر فَكُّوهم، جَبُوهم عند بيت حانون وسيبوهم".[٦٣]

وفي هذا السياق، يقول أبو حيدر:

"ظل في البلد بعض السكان من كبار السن والنساء وبعض الرجال، منهم أعضاء عصبة التحرر الوطني، منهم عبد الله ربيع زقوت، أبو نجم، كان يطالب الناس بالبقاء في اسدود وعدم الخروج منها. ومن عصبة التحرر أيضاً، محمد خالد البطراوي، ومحمد عبد الرحمن زقوت، وعبد الله عبد الرحمن زقوت، اليهود أسروهم كلهم منهم من بقي في إسرائيل زي أبو نجم، ظل في الرملة، ومنهم من عاد إلى قطاع غزة".[٦٤]

ويتحدث أبو بسام، عن قصة رحيله من اسدود بقوله:

"أنا اِطْلعت في الليل ومعي ابني عمره حوالي أربع سنين، لما اِوْصلت اِجْرون الْحاميه، زَعَقِتْ في حَدَه اِمْن ازدود هان؟ ردت عليه مَرَه وقالت لي تعال، أَخَذَتْ الْولَد في حظنها ونام

لَصُّبحيات. بِتْتْ في حمامه وتْعرفت على أهلي وعيالي، اِرْجعت على ازدود أنا وعمي، اِرْجعنا مشي، اِوْصلَنا البلد، فِشْ بَنِي أَدْمين، اِلْبلد خاويه. كان عمي باني الدار اِجْديد، السَّاع مَنَمش فيها اربع ليالي، والفرش جايبو من يافا لسَّه اِجْديد. وشُفنا سيارة جايه من جهة حمامه خاشِّه على ازدود، كانت الساعة ثتنتين، وَقفنا السيارة، وقلنا بِنْحَمِّل اللي اِبْنقدر نحملو، صاحب السيارة طلب سته جنيه، قلنالو اِكْويس، حَمَّلنا اِكْياس السَمسم أبو خط أحمر، وَكَمْ فَرْشه ولْحاف. عمي راح مع السيارة وأنَا ظليتني انا وأَخويه؛ يعني لَمَّن طِلعت ازدود كانت عامره اَبْخيراتها، كانت جنة وخيراتها فيها فواكها وخضرتها وبياراتها؛ يعنى جبل لبنان الثاني، الناس مَطِلْعتش اِبْخاطرها، اِلْمُهم فِشْ فايده، اركبت الفرس وأخذت أختي واجيت طالع، اِوْصلنا حمامه، ومن حمامه رُحْنا على المجدل، فيه واحد اسمه ابراهيم حقي اعطانا دارو نُقَعد فيها، شُفنا المصريين هناك، كانوا بيقولوا مَعَلِش هُمَّا اخذوها في النهار واحنا حنخذها في الليل على ضو القمر. الصُّبحيات حمامه طِلعَت، المجدل طِلعت، هِربيا طِلعت، ظلينا نجري عن طريق الرمل لَمَّا اِوْصَلنا غزه، واِنزلنا على الشَجاعيه ".[٦٥]

الخاتمة

النتائج

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

أولاً: أظهرت الدراسة أهمية الرواية الشفوية الفلسطينية في وصف الأحداث وتوثيقها ودورها الفاعل في إعادة كتابة تاريخنا الفلسطيني.
ثانياً: أكدت الدراسة أن أهالي اسدود، مثل باقي السكان الفلسطينيين، طُردوا وهُجِّروا من ديارهم ومدنهم وقراهم نتيجة استخدام القوة العسكرية، وتعرضهم لأساليب القمع والإرهاب التي مارستها القوات الصهيونية ضدهم.
ثالثاً: أبرزت الدراسة الأهمية التاريخية لاسدود باعتبارها احدى المدن الخمسة التي أقامها الفلسطينيون في فلسطين منذ وجود أجدادنا الكنعانيين في هذه البلاد والمحافظة على طابعها ومعالمها العربية.
وأخيراً: أكدت الدراسة أن أبناء الشعب العربي الفلسطيني وأهالي اسدود ما زالوا يؤمنون بحقوقهم التاريخية والإنسانية ومنها حق العودة إلي ديارهم ومدنهم وقراهم مهما طال الزمن.

التوصيات

أولاً: بذل الجهود من قِبل جميع الباحثين والأكاديميين والجهات المعنية لإقامة مراكز أبحاث متخصصة في التاريخ الشفوي الفلسطيني في الجامعات ودعمها وتشجيعها من أجل تنفيذ خططها وتحقيق أهدافها المرجوة.
ثانياً: إقامة الندوات والمؤتمرات العلمية الخاصة بمشاريع التاريخ الشفوي الفلسطيني وذلك لتعميق الوعي الجماهيري، وتنشيط الذاكرة الفلسطينية بما يخدم إعادة كتابة تاريخنا الفلسطيني وتنقيته من الشوائب ومن كل أشكال التشويه والطمس.
ثالثاً: الحرص على تبادل الخبرات والكفاءات المتخصصة في التاريخ الشفوي بين كافة الأكاديميين الفلسطينيين والعالم الخارجي المتمثل بالمُؤسسات العربية والدولية المعنية.
رابعاً: إنشاء دار نشر فلسطينية فاعلة من قبل الجهات المعنية لإصدار ونشر الدراسات والأبحاث المتعلقة بالتاريخ الشفوي الفلسطيني وموضوعاته المختلفة.
وأخيراً: حث وسائل الإعلام بكافة أنواعها للإهتمام بموضوعات التاريخ الشفوي الفلسطيني والحرص علي تعميق وعي المواطن به.

ملحق بأسماء الرواة من أهالي أسدود، الذين تمت مقابلتهم:

اسم الراوي	الكنية	تاريخ الميلاد	تاريخ إجراء المقابلة
أحمد حسن علي غبن	أبو علي	١٩٢٢	١٩٨٧/٢/٢٢
آمنة محمود كساب	أم وليد	١٩٢٧	١٩٨٧/٢/٢١
زينب البقري	إم خالد	١٩١٧	١٩٨٧/١/٢٩
شحادة عبد الهادي حميد	أبو بسام	١٩٣٢	١٩٨٧/٣/١٥
عبد الرحمن حسين عوض الله	أبو حيدر	١٩٣١	٢٠٠٧/٣/٢١
عبد الله محمد محمود زقوت	أبو طلال	١٩٢٧	٢٠٠٧/٣/١٨
عبد الفتاح عبد الرحمن قفة	أبو وجيه	١٩١٣	١٩٨٧/٣/٢٦
عبد المالك عبد الرزاق محمد حسن	أبو محمود	١٩٠٧	١٩٨٧/١/٣٠
علي حسن عبد ربه غبن	أبو زكي	١٩٣٥	١٩٨٧/٣/١
فاطمة عبد الهادي زقوت	إم محمد	١٩٣٢	١٩٨٧/٢/٣
محمد حرب خميس جودة		١٩١٥	١٩٨٧/٢/٧
محمود محمد البقري	أبو وصفي	١٩٢٩	١٩٨٧/٢/٧
موسى عبد الله غبن	أبو عثمان	١٩٠٠	١٩٨٧/٢/٢٢
يوسف عبد الرزاق محمد حسن	أبو العبد	١٩٠٢	١٩٨٧/٢/٢٦

ملحـق الصور:

صورة جوية لمدينة أسدود عام ١٩٣٥ . (المصدر : www . palestineremembered . com)

أسدود ٢٠٠٧ . (المصدر : www . palestineremembered . com)

أسدود ٢٠٠٧ . (المصدر : www . palestineremembered . com)

ميناء أسدود ٢٠٠٧ . (المصدر : www . palestineremembered . com)

الهوامـش

١) من أبرز الباحثين الأكاديميين الفلسطينيين المُهتمين بالتاريخ الشفوي الفلسطيني في الوقت الحاضر ولهم العديد من المنشورات والمساهمات المتعلقة بهذا الحقل: د. عادل يحيى، د. شريف كناعنة، د. روز ماري صايغ، د. بيان نويهض الحوت، د. وليد الخالدي، د. سونيا نمر، د. محمود إبراهيم، د. فيحاء عبد الهادي، د. صالح عبد الجواد، د. رياض شاهين، د. نافذ نزال، وغيرهم.

٢) للإطلاع على هذه المجازر، انظر: المسيري، عبد الوهاب. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. دار الشروق، ط١، ١٩٩٩؛ الحمد، جواد. الشعب الفلسطيني ضحية الإرهاب والمذابح الصهيونية. عمان: مركز دراسات الشرق الأوسط، ط١، ١٩٩٥.

٣) على سبيل المثال: دمر أو فقد أو نهب معظم الإرث الثقافي والقانوني المكتوب للشعب الفلسطيني مثل أرشيف جيش الجهاد المقدس، سجلات وملفات الأملاك والأراضي، المكتبات العامة والخاصة، الصحافة المكتوبة وأرشيفها، سجلات المستشفيات والمدارس والمعاهد، بيانات وأرشيفات الأحزاب السياسية الفلسطينية، الأوراق الشخصية والمذكرات لكبار المثقفين والكتاب السياسيين. لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع أنظر: عبد الجواد، صالح. "تدمير الذاكرة الفلسطينية المكتوبة"، مجلة التراث والمجتمع، مركز دراسات التراث والمجتمع الفلسطيني، العدد ٤٢، البيرة، شتاء ٢٠٠٥/ ٢٠٠٦.

٤) في هذا الصدد، في كانون أول ١٩٤٨ خاطب دافيد بن غوريون، رئيس وزراء إسرائيل، الإسرائيليين بقوله: "إن الانتصارات العسكرية الأخيرة هي إحدى المقدمات لأهداف إسرائيل البعيدة، فعلى الشعب أن يكتل قواه للوصول إلى تلك الأهداف استعداداً للوصول إلى الهدف النهائي في بناء الدولة اليهودية، وجلب يهود العالم جميعاً وتحقيق البنود الواردة في التوراة". انظر: زعيتر، أكرم. القضية الفلسطينية، ص٢٨٨.

٥) يقول دافيد بن غوريون بهذا الصدد: "سنقاتل حتى تحرير بلادنا بأجمعها، بلاد الآباء والأجداد، سنحقق رؤيا أنبياء إسرائيل، وسيعود الشعب اليهودي بأسره إلى استيطان أراضي الآباء والأجداد الممتدة من الفرات غرباً حتى النيل شرقاً". انظر: زعيتر، أكرم، القضية الفلسطينية، ص٢٨٩.

وتؤكد الرواية الصهيونية أن العرب هربوا من البلاد في أثناء الحرب التي شنتها الجيوش العربية على إسرائيل، مما أدى إلى نشوء مشكلة اللاجئين. انظر: الصباغ، زهير، التطهير العرقي الصهيوني في فترة ما قبل حرب ١٩٤٨، ص٧-٨.

٦) العناقيون: من القبائل الكنعانية، امتدت منازلهم من الخليل إلى القدس ونزل بعضهم في ساحل البحر المتوسط وأقاموا في غزة، واشتهروا بطول قاماتهم وقوتهم في الحرب. انظر: الدباغ، بلادنا فلسطين، جـ٨، صـ١٩٢. محاسنة، محمد حسين وآخرون، تاريخ مدينة القدس، صـ٤٤.

٧) الدباغ، بلادنا، جـ١، صـ٣٩٦-٣٩٧.

٨) ابن خرد ذابة، المسالك والممالك، صـ٢١٩. الدباغ، بلادنا، جـ٨، صـ١٩٣.

٩) الفلسطينيون: هم إحدى الشعوب التي استوطنت مناطق من أرض كنعان خلال العصر البرونزي الحديث (١٥٥٠-١٢٠٠) ق.م، وهم من الشعوب التي قدمت من منطقة بحر إيجة وعرفوا بشعوب البحر، وكان مركزهم في مدينة اسدود. انظر: محاسنة، تاريخ، صـ٥٥-٥٦.

١٠) الدباغ، بلادنا، جـ١، صـ٥٣٧. الخالدي، وليد، كي لا ننسى، صـ٥٠٦.

١١) الدباغ، بلادنا، جـ٨، صـ١٩٢. المرعشلي، أحمد وآخرون، الموسوعة الفلسطينية، جـ١، صـ٢٣٦. الخالدي، وليد وآخرون، كي لا ننسى، صـ٥٠٧.

١٢) الدباغ، بلادنا، جـ٨، صـ١٩٢-١٩٣. المرعشلي، الموسوعة، جـ١، صـ٢٣٦.

١٣) محاسنة، تاريخ، صـ٨٥. الدباغ، بلادنا، جـ٨، صـ١٩٣. المرعشلي، الموسوعة، جـ١، صـ٢٣٦.

١٤) الدباغ، بلادنا، جـ٨، صـ١٩٣. المرعشلي، الموسوعة، جـ١، صـ٢٣٧.

١٥) المرجعين السابقين.

١٦) عبد الله بن أبي السرح: صحابي قرشي، كان من كتاب الوحي للنبي (صلى الله عليه وسلم)، عينه الخليفة عثمان (رضي الله عنه) والياً على مصر وعمل فيها ١٢ عاماً، مات في اسدود فجأة وهو قائم يصلي. انظر: المسعودي،

مروج الذهب، جـ٢، صـ٣٣٣. الدباغ، الموجز، صـ٤٧. الدباغ، بلادنا، جـ٨، صـ١٩٦.
١٧) المرعشلي، الموسوعة، جـ١، صـ٢٣٧.
١٨) الدباغ، بلادنا، جـ٨، صـ١٩٤. شراب، محمد، معجم بلدان فلسطين، صـ١١٣.
١٩) عرَّاف، شكري، القرية العربية الفلسطينية، صـ١٦٥. الدباغ، بلادنا، جـ٨، صـ١٩٤.
٢٠) أبو وجيه: عبد الفتاح عبد الرحمن قفة من سكان اسدود ومواليدها سنة ١٩١٣، مقابلة أجريت بتاريخ ٢٦/ ٣/ ١٩٨٧، غزة.
٢١) أبو بسام: شحادة عبد الهادي حميد: من سكان اسدود ومواليدها سنة ١٩٣٢، مقابلة أجريت بتاريخ ١٥/ ٣/ ١٩٨٧، غزة.
٢٢) أبو العبد: هو يوسف عبد الرزاق محمد حسن من سكان اسدود ومواليدها سنة ١٩٠٢، مقابلة أجريت بتاريخ ٢٦/ ٢/ ١٩٨٧، غزة.
٢٣) أبو علي: هو أحمد حسن على غبن من سكان اسدود ومواليدها سنه ١٩٢٢، مقابلة أجريت بتاريخ ٢٢/ ٢/ ١٩٨٧، غزه.
٢٤)أبو وجيه: سبق ذكره.
٢٥) مقابلة أجريت مع الشيخ محمد حرب خميس جودة في منزله بغزة بتاريخ ٧/ ٢/ ١٩٨٧م وهو من مواليد اسدود عام ١٩١٥.
٢٦) أبو طلال: هو عبد الله محمد محمود زقوت، من سكان اسدود ومواليدها سنة ١٩٢٧م، مقابلة أجريت بتاريخ ١٨/ ٣/ ٢٠٠٧م، غزة.
٢٧) أم خالد: هي زينب البقري، من سكان اسدود ومواليدها سنة ١٩١٧، مقابلة أجريت بتاريخ ٢٩/ ١/ ١٩٨٧، غزة.
٢٨) أبو العبد: يوسف عبد الرزاق، سبق ذكره.
٢٩) أبو عثمان: هو موسى عبد الله غبن من سكان اسدود، ومواليدها عام ١٩٠٠م. مقابلة أجريت بتاريخ ٢٢/ ٢/ ١٩٨٧، غزة.
٣٠) الدباغ، بلادنا، جـ١، صـ١٩٦.
٣١) المرجع نفسه. وكان سكان اسدود يعتقدون (خطأً) أن هذا المقام هو مقام سلمان الفارسي. انظر: الخالدي، كي لا ننسى، صـ٥٠٧.
٣٢) أبو بسام: سبق ذكره، مقابلة أجريت بتاريخ ١٥/ ٣/ ١٩٨٧، غزة.
٣٣) أبوبسام: سبق ذكره.
٣٤) أم محمد: هي فاطمة عبد الهادي زقوت من سكان اسدود ومواليدها سنة ١٩٣٢، مقابلة أجريت بتاريخ ٣/ ٢/ ١٩٨٧م، غزة.
٣٥) أبو زكي: هو على حسن عبد ربه غبن من سكان اسدود ومواليدها سنه ١٩٣٥، مقابلة أجريت بتاريخ ١/ ٣/ ١٩٨٧، غزه.
٣٦) أم وليد: هي آمنه محمود أحمد كساب من سكان اسدود ومواليدها سنة ١٩٢٧، مقابلة أجريت بتاريخ ٢١/ ٢/ ١٩٨٧، بيت حانون.
٣٧) أبو بسام: شحاده حميد، سبق ذكره
٣٨) أبو طلال: سبق ذكره.
٣٩) مقابلة مع الحاج شحادة حميد (أبو بسام) بتاريخ ١٥/ ٣/ ١٩٨٧م.
٤٠) أبو وصفي: هو محمود محمد البقري من سكان أسدود ومواليدها سنه ١٩٢٩، مقابلة أجريت بتاريخ ٧/ ٢/ ١٩٨٧، غزه
٤١) المرعشلي، الموسوعة الفلسطينية، جـ٢، صـ١٥٠.
٤٢) المرعشلي، الموسوعة، جـ٢، صـ١٥١-١٥٢. انظر كذلك: العارف، نكبة فلسطين، جـ١، صـ٣٣٣- ٣٣٤. زعيتر، القضية الفلسطينية، صـ٢١١.
٤٣) الجيوش العربية النظامية التي دخلت فلسطين هي: الجيش المصري، الجيش السوري، الجيش الأردني، الجيش العراقي، والجيش اللبناني. انظر: العارف، نكبة فلسطين، جـ١، صـ٢٨٥ - ٢٨٦.

٤٤) المرعشلي، الموسوعة، جـ٢، صـ١٥٢ . زعيتر، القضية الفلسطينية ، صـ٢٠٩ .
٤٥) المرعشلي، الموسوعة، جـ٢، صـ١٥٣ .
٤٦) ياسين، صبحي، طريق العودة إلى فلسطين، صـ٧٢ -٧٣ .
٤٧) المرعشلي، الموسوعة، جـ٢، صـ١٥٤ .
٤٨) المرجع نفسه .
٤٩) المرجع نفسه .
٥٠) المرعشلي، الموسوعة، جـ٢، صـ١٥٤ . الخالدي، وليد، كي لا ننسى، صـ٥٠٨-٥٠٩ .
٥١) أبو العبد: سبق ذكره
٥٢) أبو حيدر: هو عبد الرحمن حسين عوض الله النوري من سكان اسدود ومواليدها سنة ١٩٣١ م . مقابلة أجريت بتاريخ ٢١/ ٣/ ٢٠٠٧م، غزة .
٥٣) المرعشلي، الموسوعة، جـ٢، صـ١٥٥ . الخالدي، وليد، كي لا ننسى، صـ٥٠٩ .
٥٤) أبو طلال: سبق ذكره
٥٥) المرعشلي، الموسوعة، جـ٢، صـ١٥٩ .
٥٦) المرجع نفسه، صـ١٦٠ .
٥٧) المرجع نفسه، صـ١٦١ .
٥٨) الخالدي، كي لا ننسى، صـ٥٠٩ . المرعشلي، الموسوعة، جـ٢، صـ١٦١ . انظر كذلك: بن غوريون، دافيد، يوميات الحرب١٩٤٧-١٩٤٩، صـ٥٩٩ .
٥٩) أبو حيدر: عبد الرحمن حسين عوض الله، سبق ذكره
٦٠) أبو بسام: سبق ذكره .
٦١) أم محمد: سبق ذكرها .
٦٢) ام خالد: سبق ذكرها .
٦٣) أبو محمود: سبق ذكره .
٦٤) أبو حيدر: سبق ذكره .
٦٥) أبو بسام: سبق ذكره .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

• ابن خردذابه، أبو القاسم عبد الله، (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م). المسالك والممالك. بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٦٦.
• المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين، (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م). مروج الذهب ومعان الجوهر. ٤ أجزاء، تحقيق: سعيد اللحام. بيروت: دار الفكر، ط١، ٢٠٠٠.

ثانياً: المراجع العربية

• الخالدي، وليد وآخرون. كي لا ننسى. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط ١، ١٩٩٨.
• الدباغ، مصطفى مراد. بلادنا فلسطين. ١١ جزء، بيروت: دار الطليعة، ط ٤، ١٩٨٨.
• الدباغ، مصطفى مراد. الموجز في تاريخ الدول العربية وعهودها في بلادنا فلسطين. منشورات اليسار، ط٣، ١٩٨٨.
• زعيتر، أكرم. القضية الفلسطينية. مصر: دار المعارف، ١٩٥٥.
• شراب، محمد محمد. معجم بلدان فلسطين. دمشق: دار المأمون للتراث، ط١، ١٩٨٧.
• الصباغ، زهير. "التطهير العرقي الصهيوني في فترة ما قبل ١٩٤٨"، مجلة التراث والمجتمع. مركز دراسات التراث والمجتمع الفلسطيني، البيرة، العدد ٤١، تموز ٢٠٠٥.
• العارف، عارف. نكبة فلسطين والفردوس المفقود. ٦ أجزاء، دار الهدى، ١٩٥٦.
• عرّاف، شكري. القرية العربية الفلسطينية. القدس: جمعية الدراسات العربية، ط٢، ١٩٨٦.
• بن غوريون، دافيد. يوميات الحرب ١٩٤٧ – ١٩٤٩، ترجمة سمير جبور، مراجعة وتقديم صبري جريس. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، ١٩٩٣.
• محاسنة، محمد حسين وآخرون. تاريخ مدينة القدس. عمّان: دار حنين للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٣.
• المرعشلي، أحمد وآخرون. الموسوعة الفلسطينية. ٤ أجزاء، دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، ط١، ١٩٨٤.
• ياسين، صبحي محمد. طريق العودة إلى فلسطين. القاهرة: مطبعة الحرية ١٩٦٠.

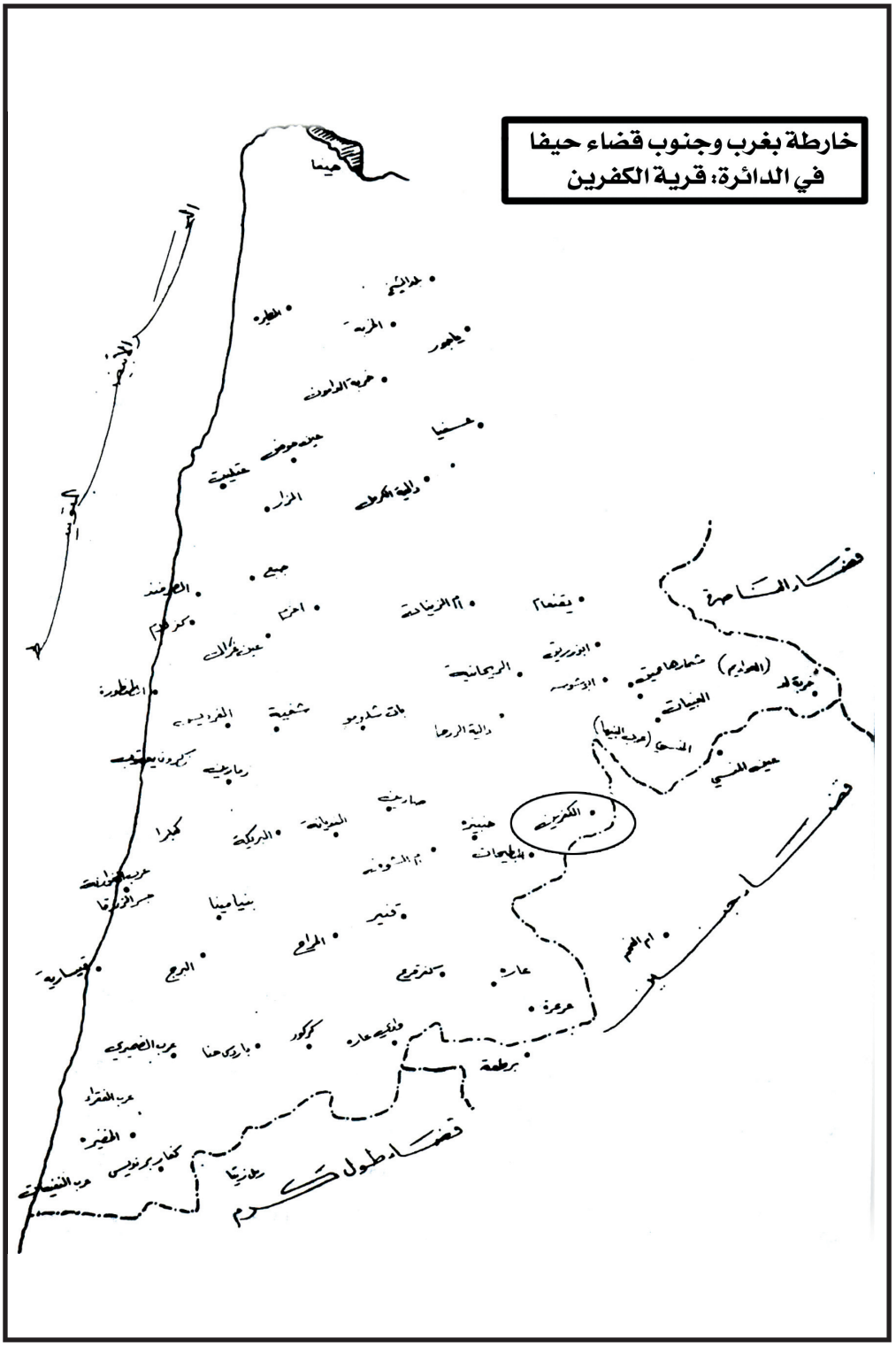
خارطة بغرب وجنوب قضاء حيفا
في الدائرة: قرية الكفرين
حيفا
الطيرة
المزرعة
الجلمة
عين غزال
الزرّاعة
أم الزينات
يقنعام
الرمحانية
أبو زريق
أبو شوشة
(المعاذيم)
شعارها قيسية
العيّات
(عرب النعيم)
الكفرين
حبيرة
البريكة
البيادر
كفر قرع
عين غزال
الزرّاعة
أم الشوف
المالحات
عارة
عرعرة
برطعة
أم العمر
قضاء طولكرم
قضاء الناصرة
قضاء حيفا

الورقة البحثية الثالثة

الكفـريـن

مليحـة طعمـة*

مقدمـة

تعرضت فلسطين عام ١٩٤٨ لكارثة كبرى (النكبة) طالت ليس الأرض والبشر والمدن القرى والأسماء التاريخية فحسب، بل وأيضا الوثائق والسجلات الشاهدة على عراقة تاريخ الفلسطينيين وعلى بشاعة الجريمة التي ارتكبت بحقهم.

ولكي نستحضر ذلك التاريخ المُغيَّب ونستكشف الحقيقة، عُدنا إلى الماضي كي ننبش الركام ونحيي طائر الفينيق من تحت رماد النار والدمار التي أشعلها وأنتجها من استوطن فضاءنا وزوَّر تاريخنا، وانتحل كل لحظات التألق والجمال في زماننا ومكاننا. عُدنا إلى قرية الكفرين، إحدى قرى حيفا المُهجَّرة عام ١٩٤٨، تلك القرية التي تعود أصولها الأولى إلى حضارة الكنعانيين، لنستنطق ما تبقى من حجارتها وقبور شهدائها الذين عاشوا هول الجريمة البشعة، ولنلحق بمن تبقى على قيد الحياة من أهلها المُشرَّدين داخل الوطن وفي الشتات كي يدلوا بشهادتهم وحكايتهم المُغيَّبة عن التاريخ الرسمي المُدوَّن والمُزوَّر، والمليء بالأكاذيب وأنصاف الحقائق والمُختلط بالأساطير الغابرة.

وبناء على ما طوَّره أساتذة التاريخ الشفوي في فلسطين من منهجية بحث تتناول كل مناحي الحياة في القرى المُدمَّرة والتهجير واللجوء التي طال أهلها، التقينا بمن لا زالت الكفرين وفلسطين في ذاكرتهم حية تناشد من يدوِّنها ويصوغها في رواية مكتملة لشعب لا يزال يواجه محاولات التغييب والطمس والتشويه.

لم تكن المهمة سهلة، فمن الرواة من رفض الحديث لأسبابه الخاصة ومنهم من خانتهم الذاكرة، ومنهم من خاف من استخدام ما سيقوله من معلومات بغير حق. ولكنا في النهاية

* **مليحة طعمة**: الحائزة على المرتبة الثالثة في جائزة العودة في حقل التاريخ الشفوي للعام ٢٠٠٧ عن بحثها "الكفرين". باحثة في مجال التاريخ الشفوي من مواليد قفين-طولكرم.

أنجزنا مهمتنا وعُدنا من رحلتنا الشاقة لندوِّن مُلخَّصا مُكثفا لما حصلناه من معرفة قد لا تكون دقيقة كل الدقة، وقد تكون قريبة أو بعيدة عن كامل الحقيقة، لكنها بكل تأكيد ليست كاملة ونهائية، لأن هذا التاريخ المُنفتح على رحاب الزمان والمكان والاجتماع والاقتصاد والسياسة والثقافة غني بما يحوي وجدير بأكثر من محاولة حتى نفيه حقه وندفع بالحقيقة كي تنسج الرواية الفلسطينية القادرة على الرد بجدارة على "رواية الآخر" التلفيقية.

ولأنها تجربتنا الأولى في هذا الميدان الهام والضروري لحاضر ومستقبل فلسطين، فإنها قد رسخت لدينا القناعة بضرورة المضي قدما في البحث والدراسة حبا لفلسطين، وانتصارا للحقيقة والعلم وأملا في مستقبل مزهر لشعب يستحق الحياة.

الفصل الأول:

الكفرين: تسميتها وجغرافيتها

التسمية:

الكفر كلمة بمعنى "القرية"، وهي جذر سامي مشترك يفيد الإخفاء، وقد سُمِّيت القرية "كفرا" لأنها مخبأ، وقيل أن الكفرين تثنية عربية للفظ كفر: ومعناها القرية.[١] وكانت الكفرين (أي، القرية بالعربية) تعرف عند الصليبيين باسم كافورانا (caaforana).[٢]

ويُذكر أن الكفرين بُنيَت على أنقاض قرية أثرية قديمة يعتقد أنها عاصرت الكنعانيين العرب الذين سكنوا مُدن وقرى فلسطين.[٣] والكفرين موقع أثري به أساسات وأعمدة وتاج عمود ومدافن ومقام،[٤] كما أن الآبار في القرية كفرية (أي، رومانية).[٥] هذا بالإضافة لما شاهده أهالي القرية من أواني فخارية أثرية ومدافن حجرية استعملها الرعاة أحواضا لسقي أغنامهم.

أما آراء الأهل بالنسبة لأسباب التسمية فيقول الحاج أحمد الغول:

> "سمعت خُرافة بتقول أنه في هالقرية كان ملك اسمه (رين) وبعدين حول الناس اسم البلدة للكفرين، ويمكن انه هاي القرية أصلها على زمن الرومانيين، والقرية زمان ما كنتش للسكان اللي بيعيشوا فيها لكنها كانت تابعة لمدينة أم الفحم. وبعدين أجوا أجدادي الستة وكان أصلهم يمني من جبل الخليل في منطقة القدس وبعدين لجأوا لأم الزينات وصبارين وثم للكفرين، ثم صارت بينهم وبين أهالي أم الفحم (اللي كانوا ساكنين في الكفرين) نزاعات، وكانت نتيجة النزاعات بتغلب أجدادي الستة على أهالي أم الفحم وطردوهم من القرية وسكنوا فيها".[٦]

جغرافيا الكفرين:

تُعد قرية الكفرين من القرى المُهمة في قضاء حيفا، حيث تقع على رقعة فسيحة قليلة الانحدار وذات أودية ضحلة. وقد شُيِّدت الكفرين على كتف جبل الكرمل فوق تلة ترتفع ٢٥٠ كم عن سطح البحر، وهي مستطيلة الشكل مع امتداد الضلع الطويل من الشرق إلى الغرب وقد كانت من النوع المكتظ.[٧] وتبعد الكفرين نحو ٦ كم إلى الشمال من وادي عاره، ونحو ٣٠ كم جنوب شرق حيفا. وكانت ثمة طريق فرعية تتجه نحو الشمال الغربي، فتصلها بطرق حيفا – جنين العام، الموازي لمرج بن عامر.[٨]

يقول الحاج أحمد الغول:

"كان يوجد جبل في القرية إسمه جبل بيت راس وكان يشرف على مرج ابن عامر وعلى أراضي الروحة، ولما صارت حرب ١٩٤٨ تنافس العرب واليهود على السيطرة عليه لأنه يكشف على المنطقة كلها".[٩]

وتحيط بأراضي الكفرين من الشرق أراضي أم الفحم، ومن الغرب تحيط بها أراضي قرية صبارين، ومن الجنوب الغربي خبيزه. كما تشرف رقعتها شمالاً على أراضي أبو شوشة ودالية أبو الروحاء، وفي الجنوب أراضي قرية البطيمات.

وقد بلغت مساحة مسطح البناء في الكفرين في العام ١٩٤٥ نحو ١٨ دونماً، وبلغت مساحة أراضيها ١٠,٨٨٢ دونماً، منها ٢٨٠ دونما للطرق والوديان، و ١٠,٠٥٨ دونما أراض مزروعة. وكانت أراضي الكفرين بأيد عربية، حيث لم يملك اليهود أي شبر من أرضها، و٩٠١ دونم أراضي مشاع.[١٠]

وتكثر الأودية في قرية الكفرين جنوبا، باستثناء واد واحد بجهة الشمال يدعى وادي البزاري، حيث يمر بأراضي المرشقة والبصة وينحدر باتجاه الجنوب الغربي، ليشكل مع الأودية الأخرى المارة جنوبي القرية وادي الدفلة. وتبدأ من قرب الكفرين الروافد العليا لنهر الزرقاء، ومن روافده وادي حمد، وادي فحرور، وادي الزراق، وادي الغار، وادي العرايس ووادي حلة أبي النمر الذي يمُر بشمالها الغربي ويتحد مع عدة أودية صغيره مكونا وادي الدفلة. وتتجه هذه الأودية غرباً مارة بأراضي صبارين ومن ثم تصب في البحر الأبيض المتوسط. وتجف بعض هذه الأودية صيفا وتحمل المياه الغزيرة شتاء وتحيط بها بساتين البرتقال والخضراوات.[١١]

وتحيط بقرية الكفرين سهول كثيرة تتمتع بالخصوبة ووفرة الينابيع والعيون وتنتشر هذه الينابيع على حافة وادي الدفلة ووادي العرايس وجوانب الأودية الجنوبية. وتتسع هذه السهول شمالاً حتى حدود جعارة وتضيق جدا جهة الجنوب والشرق من القرية.

وتعتمد سهول الكفرين على مياه الأمطار في فصل الشتاء لري أراضيها ونادرا ما يصيبها القحط ومن أشهر سهولها: السهول الشمالية والسهول الغربية وهي تصل إلى كرنتينا على حدود صبارين، أما السهول الجنوبية فهي ضيقة جدا ولا تتعدى عين الصفصاف في جنوب القرية،[١٢] ومن أسمائها أيضاً، كما ذكر أهل القرية البصاص والميدان.

وتكثر الآبار والعيون في أراضي القرية، وهناك عدة أبار في شمالها الغربي على بعد ٥ كم

منها. وهنالك عدة عيون ذكرها أهل القرية منها: عين حمد، عين العرايس، عين خله بكر، عين الحنانة، عين أبو رجب، عين الفخيته، عين الشاعر، عين الكوع، عين موسى، عين الغدران، عين البلد، عين البيادر، عين الصفصافة، عين الكفرين، عين الزعترة، عين الراس، وعين قاسم. في هذا السياق، يقول الحاج أحمد الغول:

"العيون كان عددها كثير كثير، وصدقي أنو كنا نحفر ٣ متر يطلع مي، يعني كان صاحب الغنم كان يحفر في ساعة الوقت يطلع مية وبقت الينابيع قوية كثير يعني نسقي البساتين دون أي حاجة للماتور".[١٣]

أما أحمد أبو سريس، أبو يوسف فيقول:

"كان في عيون كثيرة في الكفرين وكان إلها أربع روازن، وكانت دائمة الجريان وكانت معظم هذه العيون بتسقي البساتين والبيادر".[١٤] ويتذكر أحمد أبو سريس فيقول: "القرية كانت وادعه جميلة تشبه الجنة في وصفها لكثرة أشجارها وينابيعها الجارية التي لا تنضب، ولأن القرية تكثر فيها الينابيع المتدفقة والأشجار وافرة الظلال وتدوم خضرتها على طول السنة ولهذا وصفها المهجرون بالجنة".[١٥]

وتسود أنواع مُتعددة من التربة في منطقة حيفا نظرا لتنوع الصخور من ناحية، وتنوع الظروف المناخية المحلية في المناطق المختلفة من ناحية أخرى.[١٦] وفي أراضي الكفرين، تتنوع التربة فتكون كلسية في الشرق، وتتمثل في أراضي المشرقة، أما في السهول الغربية الشمالية فتكون التربة طينية حمراء وسوداء. ويقول الحاج أحمد الغول:

"إن التربة أنواع منها البياض والأراضي الطينية الحمراء، وكانت تربة الكفرين من النوع الجيد، يعني بقت تربة البياض عند زراعتها تطعم الفلاح لمدة سنة كاملة صيفي وشتوي، وكانت قشرة هاي التربة في الجبال والسهول".[١٧]

الفصل الثاني:

العمران في الكفرين

البيوت والعمران في وجدان الأهالي:

للبيوت أهمية عاطفية مرموقة في الوجدان الشعبي الفلسطيني: فهي ترمز للسعادة العائلية ووحدة الأسرة والستر، وليست هناك سعادة عائلية بدون بيت يضم الأسرة،[١٨] كما أن هناك أقوال شعبية مأثورة تؤكد أن البيت هو رمز السعادة العائلية ووحدة الأسرة.[١٩] وقد تميَّزت بيوت الكفرين بسعة سطوحها واتساع حوشها، ويعيش فيها من ٤–٦ عائلات من نفس الحمولة. ويكون الحوش مبنيا من الطين والحجارة وله باب كبير لدخول الجمال والحيوانات وهي مُحمَّلة بالتبن والسلع الأخرى. ويوجد داخل الحوش حضيرة للحيوانات وبيوت مُخصَّصَة لتخزين التبن والحبوب. يقول الحاج صدقي أمين الغول:

"اغلب البيوت اللي بالكفرين كنا نبنيها من الطين والحجر أو شيد وحجر. وقسم من هاي البيوت كان إلها علية، وهاي البيوت القديمة بقت شبه مهجورة، علشان هيك الناس صاروا يبنوا عقود وكانوا يبنوها من الشيد والحجر أو من الحجارة السميكة. والعقود هاي كانت قسمين قسم للحيوانات وقسم لأهل البيت وسقوفها مايله ومزاريبها قصيرة وكنا إنْطَيِّن البيوت مرتين في السنة".[٢٠]

ويقول الحاج أحمد الغول:

"كنا نبني البيوت من حجر وطين، وكانت البيوت هاي حوالي ١٠X١٠ وكانت كل العيلة تسكن مع الدواب وكان في البيت مضافات".[٢١]

وقد كان بيت الفلاح متسعا، بحيث يتجمع داخل البيت المؤلف من غرفة واحدة واسعة وعالية كل ما يحتاج الفلاح وكل ما يحرص على وجوده بجوارها. فالحيوانات في قاع البيت والحبوب في الخوابي على جانبي المصطبة، وجرار الزيت والسمن والعسل وأكياس القطين والبقول والبصل وقرون الخروب والدبس تحفظ في العقادية والفراش له ولأسرته على المصطبة.[٢٢]

باختصار، إن كل ما يحتاجه الفلاح ويحرص عليه كان موجودا تحت يده. ويروي الحاج أحمد الغول قصة عن المطامير فيقول:

"بقت الدور قبل ما تِسَع وكانوا يعملوا فيها حفر زي (بيارة الجمع) يسموها مطامير وكانوا يحطوا القمح فيها. وفي مرة واحد ما إندل على باب المطمورة اللي اله، فراح عند صاحبه

وقلو: يا زلمه خلصنا قمح ومندليتش على باب المطمورة. فقلو صاحبه: جيب حمار من البيدر وحمله ودشره بظل ماشي لحدها".[٢٣]

ولم يكن بالكفرين قبل الانتداب البريطاني حارات تُذكر، ولكن بعد أن تكاثر السكان تعددت الحارات بالكفرين حتى يقال أنه كان لكل عائلة حارة يتجمعون فيها كعادتهم يتشاورون ويحلون مشاكلهم ويتسابقون في إكرام الضيف.

وتواجد في الكفرين مسجد واحد ومقبرة واحدة كانت تقع في شرقي القرية. يقول الحاج صدقي:

"كان في الكفرين مسجد واحد بقى ييجي في جنوب القرية وكان مبني فوق مقام الشيخ أبو رمانه، وكان ييجي ناس من بره البلد يصلوا فيه يوم الجمعة وفي الأعياد، وكان اسم إمام المسجد عبد الله بن الشيخ حسن من حمولة الجيرين".[٢٤]

الحواكير والبساتين:

الحواكير هي مزارع صغيره مُعدة لزراعة الأشجار والخضراوات وتسقى بماء الوديان فقط ومزروعاتها بعلية. وتحيط بالكفرين عدة حواكير تسمى بأسماء أصحابها عادة، ويحيط بكل حاكورة نبات الصبَّار لحمايتها من الحيوانات.[٢٥]

كما تواجد في الكفرين العديد من البساتين التي امتدت الى حدود صبارين بمحاذاة وادي العرايس ووادي الدفلة. وتزرع هذه البساتين بأنواع الخضراوات والفواكه، وتحرث هذه البساتين بالمحاريث البلدية، ولكل بستان عين ترويه ومعظم هذه البساتين تسمى بأسماء أصحابها أيضا.[٢٦]

الآثار والمقامات:

تتميز قرية الكفرين بوجود آثار ذات أهمية تاريخية عظيمة، كما اشتملت على عدد من الخرب والآثار التي تنبئ عن تاريخها المديد، ومن ذلك أسس أبنية وقبور.[٢٧] وتقول المصادر أيضا أن الكفرين موقع أثري به أساسات وأعمده وتاج عمود ومدافن وتقع خربة اللويبده في شمال القرية.[٢٨] وما يدل على قِدَم القرية، أن آبارها كفرية أي رومانية، هذا بالإضافة لما شاهده أهالي القرية من أواني فخارية أثرية ومدافن حجرية. ويروي الحاج أحمد الغول فيقول:

"كان في عنا آثارات، وكان في عِنّا بالحاكورة مُغُر أجت جماعة من الناس حفروا هاي المُغُر

لقيوا فيها تابوتين من الحجر ارتفاع الواحد نص متر وطوله مترين. كانوا الرومان يحطوا ملوكهم فيهن لما يموتوا، كان الناس جاهلين، لأنهم لو تعمقوا أكثر كانوا لقيوا أكثر.. ومن جهلهم، عملوهن أحواض ومدُّوا ماسورة من العين وبيريدن عليهن البقر والغنم".[٢٩]

وكان في الكفرين ٣ مقامات هم: مقام الشيخ مجاهد شمال القرية بالقرب من دار عبد الرحمن عبد الجواد، ومقام أبو رمانه الذي بني على آثاره مسجد البلدة جهة الجنوب بالقرب من دار يوسف عبد الجواد، ومقام أبو فرغل شرق القرية بالقرب من المقبرة. هذا بالإضافة الى المُغُر والأماكن الأثرية الأخرى والمقابر القديمة والحجارة المنحوتة كبيرة الحجم وغيرها من الآثار التي تشهد بوجود حضارة عريقة وقديمة في الكفرين.[٣٠] ويقول الحاج أحمد الغول:

"كان في القرية مزارات وبيوت للأولياء، وكان الناس يؤمنوا بهاي المعتقدات، يعني لما كان المطر يتأخر كانت نسوان البلد يروحن للمزارات ويطلبن من الأولياء الدعاء إلى الله لينزل المطر".[٣١]

الطرق والمواصلات:

تقول الحاجة رقية الغول:

"زمان من كثر ما كانت البيوت قريبة على بعض كنت تقدر تنتقل من بيت الى الثاني عن طريق سطوح البيوت وكان بين هاي البيوت زقايق وطرق ضيقة، وما كان في عنا شوارع وسيعة وبقت كلها ضيقة".[٣٢]

تربط الكفرين بالقرى المُجاورة لها مثل اللجون والمنسي والبطيمات وخبيزه ودالية الروحاء وأم الشوف وصبارين وإجزم وغيرها بطرق مُعبَّدة. أما المواصلات بين الكفرين والطرق الأخرى لها فقد كانت معدومة ما عدا ما يستعمله السكان من حيوانات كالجمال والحمير والخيل، أما السيارات فلم يذكر الأهالي وجود سيارات في القرية حتى تهجيرها في العام ١٩٤٨.

الفصل الثالث:

الحياة الاجتماعية في الكفرين

العائلات:

يقول الحاج احمد الغول (أبو أسامة):

"أسماء العائلات إللي كانت بالقرية: الغول، سرحان، النعجة، خليفة، مراد، سريس، ناهية، شحادة، فياض، الصبيحات، أبو السباع، لباده، زهران، النجمي، سمارة، العسس، صالح، وغيرها. [...] وكان هنالك الحمائل والعائلات الجديدة في البلد، فكان هناك المصاروه الذين خرجوا في حملة إبراهيم باشا وبقيوا في البلاد وعاشوا مع أهلها وأصبحوا جزء منهم".

ويضيف أبو أسامة:

"كان اختلاط بين العائلات في النسب والأحزان والأفراح ولكن رغم هذا الاختلاط إلا انه كان يحدث بينهم خلافات ومشاكل". أما بالنسبة لعائلة الغول، يضيف الحاج أحمد الغول: "قسم منهم يسكن حاليا في القدس والاردن ومعظم المخيمات".[٣٣]

أما الحاج سلامة العماش فيقول:

"العيلة كان يأسسها اكبر رجل فيها وبالرغم من أنه كان يصير مشاحنات وصراعات إلا أنها ما تلبث أن تزول في أول مناسبة تحدث في أي عائلة في البلد سواء الأحزان أو الأفراح. [...] إن الرجل كان يتباهى بقريته وعائلته في آن واحد، وأن تقسيم الأراضي كان بين أبناء القرية الواحدة كان على حساب الطابو، أي أن الشخص الذي طوَّب الأرض قديما كان يكسبها وصارت معه أراضي كثيرة".[٣٤]

التعليم:

يقول الحاج صدقي الغول:

"هناك مدرسة واحدة تقع جنوب غرب القرية، وقد بنيت في العهد العثماني سنة ١٨٨٨، وأعلى صف فيها هو الرابع".[٣٥]

وقد كانت القرية من ضمن القرى التي حظيت بأولوية أنشاء مدرسة فيها لإلحاح أهلها

على السلطان العثماني، ومما جاء حول ذلك في الكتاب السنوي لوزارة المعارف العمومية العثمانية لعام (١٣١٩هـ/١٩٠١مـ) أنه كان في القرية مدارس ابتدائية للبنين بين عامي (١٨٧٤-١٨٨٨م) وهذه القرى هي (شفاعمرو، عبلين، اجزم، كفر لام، عين غزال، فريديس، قيسارية، عرعرة، أم الزينات، الكفرين، الريحانة، بلد الشيخ، وغيرها. وفي العهد البريطاني كان في قضاء حيفا عامي ١٩٣٠-١٩٣١ من المدارس ١٦ مدرسة منها مدرسة قرية الكفرين.[٣٦]

ويقول الحاج أحمد الغول:

"أول مدرسة بُنيت على أرض الروحة كانت في الكفرين وكانت حوالي سنة ١٨٥٠م؟؟؟ والحكومة هي التي أنشأتها. وكان يروح عليها كثير من الطلاب وكانت في القرية مدرسة وحدة هي مدرسة الكفرين وكانت بتدرس للصف الرابع، أما البنات بقين يتعلمن في المسجد عن طريق الشيخ. [...] كان مُدرِّس واحد في المدرسة وما كنش ثابت لأنه بقى في ثلاث معلمين يتناوبوا على مدرستنا. مُدرِّس من عجة ومُدرِّس من حلحول ومُدرِّس من نابلس، وكان عدد الطلاب ٤٠ واحد في المدرسة كلها، وبقى الطلاب من الصف الأول للرابع يدرسوا بنفس الغرفة، علشان هيك بقت هاي الغرفة كبيرة كثير".

ويقول أيضا:

"قبل ما يبنوا المدرسة كنا نروح على الكتاتيب، وبقينا ولاد وبنات مع بعض ولما عملوا مدرسة للولاد راحوا على المدرسة والبنات في الكتاب وكنن يحفظن القرآن وكان في المسجد خطيب وشيخ، اللي كان اسمه عبد الله الحسن وبقوا يعلمونا كل اشي. كان الطلاب يتعلموا عربي، علوم، دين، انجليزي، وحساب، وبقى الولد يفوت المدرسة وعمره ٦-٧ سنين، يعني كنت تلاقي بالصف الواحد، واحد عمره ٧ سنين وواحد عمره ١٢ سنة، وكان الطلاب يقعدوا ٧ ساعات وبعدين يلحقوا أهلهم على العماير [البيوت] ويساعدوهم، وكان في عنا نسبة كبيرة من المتعلمين وكنت أنا منهم".[٣٧]

أما أحمد أبو سريس فيقول:

"كانوا يعملوا للطلاب حفلة بعد ما يخلصوا، وكان في عنا معلم من الخليل اسمه إبراهيم أفندي وواحد من يعبد اسمه نعيم وكانوا يعلمونا الأدب والاحترام وتفاصيل دينا. [...] آه.. كان في عنا متعلمين كثار في البلد وكان بصفي طلاب كثار منهم لطفي عبد الرحمن، وإبراهيم أبو ناهية، وعبد الفتاح الجبر، وحافظ المروح، وغيرهم كثير".[٣٨]

اما الحاج صدقي فيقول :

"المعلم كان يدرسنا الحروف على شكل أغنية وهي:....ألف لا شـيء عليـه، الباء وحده من تحت، التاء ثنتين مـن فـوق، الثاء ثلاثة من فوق، والجيم وحده من تحت، والحاء لا شيء عليه.....وبتكمل باقي الحروف هيك".[٣٩]

الصحـة

يقول الحاج سلامة:

"من الأمراض القاتلة اللي كانت عنا زمان هي مرض التيفوئيد والحصبة وما كان في القرية دكاترة وممرضين ولما لواحد يمرض كان يروح على حيفا، وأهل الكفرين بيؤمنوا بالطب الشعبي ويستخدموا كثير من الأعشاب الطبيعية وكانوا يستخدموا كاسات الهوا والتشطيب وقراءة القرآن والحجاب عشان يتعالجوا".[٤٠]

أما الحاج أحمد الغول فيقول:

"لما كان ينتشر مرض كانوا بحيفا يبعثولنا ممرضين يعطونا الدوا، ولما أجت بريطانيا ما تغير اشي بس كان ييجي زلمه من خبيزه ويرش الواد بكاز مشان يطهره. كان الحلاقين يخلعوا السنان ويشطبوا وما كانوا يوخذوا مصاري، وبقت في القرية ولاّدة [قابلة] تولد النسوان واتعالجهن، وكانت الناس لما تمرض تغلي بابونج وزعتر ونعنع وميرامیه وتشربوا، وكانوا أهل البلد يتوقعوا انه أغلب الأمراض كانت تيجي من الأودية الي ملانه باعوض".[٤١]

وكان أهالي الكفرين يستخدمون الكثير من الوصفات الشعبية للتداوي بها ومنها العلاج بكاسات الهوى والعلاج بالكي،[٤٢] والثوم والحنون والعسل واللوز المر وقشر الرمان والملفوف وزيت الزيتون ودبس العنب والجعدة والقطين والميراميه (الشجيري). كما آمن الناس بالجن وحبكوا عليه كثيراً من القصص والروايات.[٤٣]

ويقول الحاج أحمد الغول:

"كانت تصدف لما يموت واحد في البلد يعني تقريبا كانوا في السنة ينادوا على واحد او اثنين مش زي اليوم الصغير قبل لكبير بموت، كان الزلمه يمرض ويطيب وهو في الشغل، كانت الناس تكبر، وتعمر في الكفرين، أما التطعيم فما عرفوا الناس إلا في الأربعينات".[٤٤]

الـزواج:

كانت طريقة الطلب قديما لا تتم مباشرة تفاديا لمس الكرامة. وكانت تقتضي المراسيم الشعبية أن يعبر أهل العريس عن رغبتهم في خطبة العروس عبر الهمس والإشاعات أولا، وهذا من خلال أحاديث النساء. ثم يرسلون من يطلب موعدا لزيارة يقوم بها أهل العريس لأهل العروس دون التصريح بالغرض، فإذا جاء الرد –أهلا وسهلا – فان ذلك يعني موافقة أهل العروس واستعدادهم لاستقبال الجاهة، والتي تكون غالبا من وجهاء القرية. تقول الحاجة صالحة العلي:

"كان يتم اختيار العروس بناء على سمعة إمها وعماتها وخالاتها أو أن العروس تكون قد أعجبت أم العريس واختارتها كنه لها وأما انو تكون ابنة العم أو الخال للعريس".[٤٥]

وبعد إعلان الخطبة، يتوجب على العروس أن تختفي عن أعين عريسها ولا تسمح له بأن يرى وجهها أو أن يتحدث معها على الاطلاق، ويقال في المأثورات الشعبية: "أن فات العريس من الباب.. تهرب العروس من الشباك". وتقاطع العروس كافة الاحتفالات والاجتماعات التي يحضرها العريس قبل الزواج. تقول السيدة صالحة العلي:

"البنت ما كانوا يوخذوا رأيها في الجيزة المهم انه يوافق أبوها وامها، وما كانوا يوافقوا على الجيزة إلا لما يتأكدوا من صفات العريس ومن أصله ونسبه وأخلاقه".[٤٦] "عمر البنت عند الجيزة في الكفرين بقى ما بين ٢٠–٢٧ سنة، ومهر العروس بين ٤٠–١٠٠ دينار ومهرها كان ٧٠ دينار".

ويجري الاحتفال في بيت والد العروس، ويكون احتفالا وداعيا حزينا. وتعكس أغاني النساء في هذا الاحتفال تشبث العروس بالبيت الذي رباها، وكذلك تشبث أمها وصديقاتها بها، ومن هذه الأغاني: "قولوا لابويي الله يخلي أولاده.. استعجل علي وطلعني من بلاده". وتعكس "تحانين" أخرى تقال على لسان والدة العروس على فراق ابنتها: "لا تطلعي من بويتي يا معدلتي، لا تطلعي من بويتي والهوا غربي، يا طلعتك من بويتي واشعلت قلبي".[٤٧]

وفي اليوم التالي تكون حفلة حمام العريس أمام الأهل والشباب في القرية، بعد أن يأتي الحلاق فيقص شعره وشعر الشباب في عملية احتفالية كاملة. ويرتدي العريس ثيابه المؤلفة من " قنباز" و"جاكيت" و"حطه" وعقال ويخرج لتبدأ الزفة، ويتم زفاف العريس بعد حفلة الحمام وبعد الغداء وعند انتقال العريس إلى عش الزوجية. ويقول الحاج أحمد أبو سريس:

"بعد الحمام والزفة بقت السهرة وكانوا الزلام يجيبوا نتش [الشوك الجاف] ويشعلوا

النار ويغنوا ويحدوا ويقوم الشباب ويركبوا الخيل ويرقصوها على أنغام الناي واليرغول، وبعدين بيجي النقوط".[٤٨]

ويقول الحاج أحمد الغول:

"النقوط كان حسب وضع الواحد وبيجي أهل القرية والمعزومين وبيصيروا ينقطوا، وبييجي واحد وبقول أنا نقطت خمس جنيهات يردوا أهل القرية وبقولوا خلف الله عليك يا فلان، وبيجي واحد ثاني وبقول أنا نقطت عشر جنيهات، ويقولوا خلف الله عليك يا فلان، وبيجي واحد ثالث وبيقول أنا نقطت عشرين جنيه ووقف يا عريس، وبيوقف العريس ما يقعد إلا لما بيجي واحد وينقط أكثر".[٤٩]

كما كان زواج البدل منتشرا في الكفرين، ويقوم هذا الزواج عندما يتبادل اثنان من الرجال أخواتهم فيتزوج كل منهم أخت الآخر دون مهر. وتقول الحاجة عفيفة الغول:

"زواج البدل كان منتشر كثير بالكفرين لأنه ما كان مع الناس مصاري كثير".[٥٠]

عادات الأتـراح:

تتشابه عادات الأحزان في معظم القرى الفلسطينية، حيث كان أهل القرية يتجمعون عند سماعهم بنبأ موت أحد في القرية، فمنهم من كان يقوم بتغسيل وتكفين الميت ومنهم من كان يقوم بحفر القبر بالفأس، وعندما تنتهي مراسم الدفن تقوم عائلة أخرى بدعوة عائلة الميت لشرب فنجان من القهوة وبعد ذلك تقوم عائلة الميت بفتح بيت للعزاء للرجال ويستمر ثلاث أيام، ويقوم الجيران والعائلات الأخرى بإحضار الطعام لأهل الميت ومواساتهم، وكانت النساء تذهب لزيارة القبور في اليوم الثالث، ويوم الخميس تقوم النساء بفتح بيت العزاء وتوزيع "الزلابية". أما بالنسبة للحزن على الميت فيقول الحاج أحمد الغول:

"كانن النسوان يردحن ويشطبن ويشدين شعرهن، وكانت الزلام ترمي العقلة لمدة كذا يوم، وكان الحداد ثلاث ايام بس لما كانوا بيجوا ناس غريبين كانت فترة الحداد تطول".[٥١]

أما أحمد أبو سريس فيقول:

"كان في بيت العزاء، وكانت الناس تروح على بيت العزاء ومعها رز أو سكر.. كانت النساء يلبسن الثوب لمدة سنة كاملة وكانت ما تغسله ولا تتحمم".[٥٢]

التقويـم الشعبـي:

كما هو الحال عند الفلاح الفلسطيني عموما، يبدأ العام عند أهالي الكفرين منذ بداية الموسم الزراعي الجديد بعد انتهاء فصل الخريف وبداية فصل الشتاء حيث أن نزول المطر يعد "الرزنامة" الشعبية للفلاح. ومن الأدلة الشعبية في الكفرين على جودة الموسم أو رداءته ظهور بعض الطيور المُهاجرة إلى فلسطين مع بداية فصل الشتاء. ومن الأمثال الشعبية التي تساق في هذا السياق: "سنة الحمام افرش ونام" دلالة على عدم جودة الموسم؛ "سنة الزرزورة احرث على الامورة" دلالة على جودة الموسم؛ "سنة القطا نام بلا غطا" دلالة على عدم وقوع البرد والعواصف والمطر وبالتالي رداءة الموسم.

ويحمل فصل الربيع في طياته الإحساس بانطلاقة الحياة بعد جمودها في الشتاء. ويأتي في الربيع (سعد السعود)، وفي هذه الفترة "بتدب الموية في العود" وتدخل الحياة للنبات، وهذا يعني بدء موسم الدفء. ويقول أهالي الكفرين في الربيع:

"آذار أبو الزلازل والأمطار...بتبيط العنقا والبنقا...
وأم عيون صغار صغار....
في آذار ...ببرطع الجمل...وبحمظ اللبن....
وفي آذار...بيلتقي الليل والنهار...
وبيبيظ الشنار...وأصغر الطيار"

أما في الصيف فيقال: "تموز العنب والتين"، "في تموز يتغلى الميه بالكوز"، "في أيار احمل منجلك وغار"، "في آب كل عنب ولا تهاب"، "موسم التين فش عجين ، وموسم البطيخ فش طبيخ".

أما في الخريف: فلا يكترث الناس في قرية الكفرين، فأوائله في الصيف وأواخره في الشتاء فيقولون: "في ايلول بطيح الزيت في الزيتون"، "أيلول ذنبه مبلول"، "في تشرين يقبر العنب والتين".[٥٣]

الألبسـة الشعبيـة:

تطور اللباس مع تطور الإنسان نفسه، ليلائم طبيعة حرفته أو بيئته، فكان لباس رجال الكفرين في العهد التركي ثوب طويل أبيض وحزام من الجلد. ثم لبس الرجال في أواخر العهد التركي العمائم الحمراء من الحرير، وشاع لبس الطربوش التركي وحوله لفه من الشاش بألوان متعددة ثم شاع لبس"القُمباز" وتحته السروال وثم لبسوا العباءة. أما الشباب فقد ارتدوا

البنطال القصير والقميص الفضفاض، وقد لبس أصحاب الأعمال البنطال ليناسب عملهم كما لبسوا على رؤوسهم" الحطات" البيض الشفافة والعقل المزغرفة اللامعة.[٥٤]

أما لباس المرأة في الكفرين، فلم يتغير كثيرا، وبقي الثوب الطويل يغطي جسمها وعلى رأسها حطه سوداء، وعلى خصرها نطاق حريري مُقصَّب عريض، ولا تزال بعض النسوة المُسنَّات يلبسن هذا اللباس لغاية اليوم.

أما الصبايا فقد لبسن الثوب دون النطاق المُقصَّب، حيث استبدل بحزام رفيع يوضع على الخصر، وكثيرا ما كانت المرأة تتباهى بما تلبسه من أساور ذهبية وفضية وخواتم لها أشكال مختلفة.[٥٥]

اللهجة الشعبية:

تتألف اللهجات في مختلف بقاع فلسطين من ثلاث فئات رئيسية:

أولاً: لهجة أهل المدن، وتتميز عادة بعكس حرف القاف إلى الف بصورة أعم وهي موروثة عن اللهجة الآرامية.
ثانياً: لهجة أهل القرى (الفلاحين): وهي تتشابه إلى حد ما في معظم أنحاء فلسطين وعادة ما يلفظون حرف الكاف (اتش)، كما يلفظون حرف القاف كافا مُضخَّمة، وتكاد تكون لهجة الجنوب الشرقي لمنطقة حيفا وجنين وشرقي يافا من أوضح وأظهر اللهجات العربية وأقربها إلى الفُصحى.
ثالثاً: لهجة أهل البدو في جنوب فلسطين وهي تختلف عن لهجة أهل المدن والقرى.

أما أهالي الكفرين فهم من الفئة الثانية من أهل القرى الفلاحين، حيث تتشابه لهجتهم مع غيرهم من قضاء حيفا وجنين ونابلس وطولكرم. ومن الملاحظ أن لهجة أهل الكفرين وباقي لهجات أهالي فلسطين تخالطها كثير من المفردات التركية أو الدخيلة أو المفردات العامية المُحرَّفة عن الكلمات العربية.

الفصل الرابع:

الحياة الاقتصادية

أراضي الكفرين:

يمكن تقسيم أراضي الكفرين إلى ثلاثة أقسام وهي:

أولاً: أراضي مشاع: وهي أراضي قابلة للزراعة يتقاسمها أهالي القرية لزراعتها. ويقول الحاج أحمد الغول: "كان في عنا أراضي مشاع، وكانوا ينصحونا ما نخلي مشاع لأنه آخرته اليهود بدهم يوخذوها ولأنهم كانوا يسجلوها على المندوب السامي علشان يخلفوها للدولة اللي بدها تيجي بعد الانتداب، وبالفعل لما زرنا لبلاد بعد ما أخذوها اليهود كانوا مشجرينها".[٥٦]

ثانياً: الأرض المغروسة: وملكيتها خاصة

ثالثاً: الأراضي الأميرية وتعتبر ملكا للدولة.[٥٧]

الزراعة:

نظرا لوجود العديد من العيون بالإضافة إلى وفرة مياه الأمطار الغزيرة وجودة أراضي الكفرين بشكل عام، كل ذلك جعلها تنعم بأنواع الخضراوات والفواكه والمزروعات الموسمية الصيفية منها والشتوية. ويقول الحاج أحمد الغول:

"تربة الكفرين بقت منيحة، يعني بقت تربة البياض لما تنزرع تطعم الواحد سنة كاملة صيفي وشتوي، يعني الفلاح باقى يزرعها بندورة او كوسا أو لوبية وكانت تطعمه مرتين في السنة وكانت تتحمل موسمين صيفي وخريفي، ومنتشرة في الجبال والسهول، وبقت كل البلد تشتغل في الزراعة زلامهم و نسوانهم. كانوا يزرعوا كثير من الفواكه والخضار منها الانجاص، السفرجل، يوسف أفندي، رمان، تين، تفاح، ليمون، جوز، لوز، وكانوا في الصيف يزرعوا الذرة، الحمص، البامية، الكوسا، البندوره ، الملوخية، وفي الشتاء قمح، وشعير، كرسنه، عدس، فول، الذرة الصفراء والبيضاء وغيرها كثيرا. [...] الكفرين اشتهرت بزراعة كثير من المحاصيل. يعني مش بس محصول واحد، وانه اليوم الواحد بشتري ٤–٥ كيلو من الفريكه بس قبل الواحد بقى يعمل ٥٠–٦٠ كيلو. وكان يتوفر من المحصول وانبيعه في سوق حيفا، أما بالنسبة لتوزيع الأرض في القرية ما كنش متساوي بين الناس، يعني بقى في ناس ما عندهم ارض وفي ناس كان عندهم كثير. عمي مثلا كان يعطي للناس اللي ما عندهم أراضي صغيرة علشان يبنوها ويعمروها في منطقة الظهر، ومن أسماء الملاكين في الكفرين شاكر الغول، سعيد الغول، ويوسف الغول، وغيرهم".[٥٨]

في عامي ١٩٤٤-١٩٤٥ كان القمح المحصول الرئيسي في الكفرين، حيث تم تخصيص ما مجموعه ٩٧٧٦ دونما للحبوب و ١٤٧ دونما خصص للمزروعات المروية أو للبساتين،[٥٩] وتم تخصيص نحو ٣٠ دونما لزراعة الزيتون.[٦٠] يقول الحاج أحمد الغول في هذا الصدد:

"المصاري قبل ما كانت زي اليوم، لأنه الانجليز قبل كانوا يحاربونا. يعني لما بكى ييجي محصول القمح يقوموا الانجليز يجيبوا قمح كندي وينزلوا على السوق كون أسواقنا تنشل وتخسر".

الثـروة الحيـوانيـة:

قام اقتصاد الكفرين على الزراعة وتربية المواشي. وتعتبر الثروة الحيوانية المقياس الحقيقي لما يمتلكه الفلاح بالكفرين من ثروة، وقد كان أهالي الكفرين يتفاخرون بما يمتلكون من ثروة حيوانية هذا بالإضافة إلى اهتمامهم بتربية الطيور والأرانب. ويقدر أهالي الكفرين أن عدد الأبقار التي كانوا يمتلكونها قد زادت عن ألف رأس، وأن عدد الأغنام عام ١٩٤٨ قد زاد عن عشرة آلاف رأس. وترعى الأبقار والأغنام في سهول الكفرين بالإضافة إلى ما يقدم لها من المخزون الكافي من الشعير والتبن الذي يخزنه المزارعون في موسم الحصاد.

وكان الإنتاج الحيواني مصدر رزق وتغذية لأهالي الكفرين فمنه يصنعون الزبدة والجبن بالإضافة إلى الاستفادة من أصوافها وروثها سمادا للأرض، وقد اعتنى الأهالي بتربية الحمير والبغال والجمال من اجل الاستفادة منها في حمل الأثقال والتنقل من بلد إلى بلد، هذا بالإضافة إلى اعتنائهم بتربية الخيول العربية الأصلية.

ويقوم الرعاة يوميا بالسعي بأغنامهم وأبقارهم نحو الأودية والسهول والتلال لترعى طوال اليوم، وعند ظهيرة كل يوم يتوجه الرعاة إلى برك الماء عند العيون ويسقون ماشيتهم ثم يتناولون الغداء بشكل جماعي إذ كان معظم غدائهم من الخبز والحليب واللبن. وفي نيسان يقومون بجز صوف الغنم للاستفادة من شعرها وصوفها. وترى هذه الحيوانات في الخلاء وفي مكان يسمى "صيره" ويقتني الأهالي الكلاب الكاسرة لحماية أغنامهم من الضباع والذئاب واللصوص.[٦١] ومن المراعي في الكفرين كانت بيت راس، ظهرة البيد والفروحة وغيرها.[٦٢]

أما الثروة الحيوانية البرية كالطيور والأرانب البرية والغزلان فقد كثرت في سهول القرية وجبالها وكانت تشكل مصدر تسلية لهواة الصيد.[٦٣]

الصناعـة والتجـارة:

كان أهالي الكفرين يقومون ببعض الأعمال التقليدية كصناعة الشيد ودبغ الجلود، وصناعة السلال وقرب الماء و"سعون" اللبن والقفف وغزل الصوف والشعر وصناعة الفخار وصواني القش وصناعة سروج الخيل والمساند. وكان بعضهم يقومون بحرف عديدة من أهمها الخياطة وحرفة الصيد والصناعات اليدوية الأخرى وبناء البيوت المصنوعة من الشعر أو وبر تدعى بيوت الشعر وبناء من حجر وطين.[٦٤]

أما بالنسبة للتجارة، فيقول الحاج أحمد الغول:

"ما كان الناس في الكفرين مشهورين بتجارة معينه وكان كل شخص يتاجر بالاشي اللي بحبه والتجارة إلي بشوفها تكسب يتاجر فيها، وبقت مهنة التجارة في الكفرين قليلة لأنو الناس بقوا يشتغلوا بالزراعة وبقو التجار يشتروا بضاعتهم من حيفا".

وكان في القرية عدة محلات تجارية صغيرة تسمى دكاكين لبيع جميع ما يحتاجه المواطنين من سكر وشاي وصابون وغيرها. يقول الحاج سلامة العمَّاش:

"بقى في القرية ٨ دكاكين ومن أصحاب هاي الدكاكين أمين العلي، حسن اليوسف، صلاح سليم، وبقوا التجار يكونوا من نفس القرية".[٦٥]

العمـل والعمـال:

لم يكن الفلاح في القرية قبل الانتداب البريطاني في حالة اقتصادية تبشر بالخير بفعل السياسات التي كانت تمارس ضد الفلاح، فمعظم المحاصيل الزراعية كانت مُعدة للاستهلاك المحلي ولا تجد لها سوقا لبيعها علما أن جميع المزروعات كانت تزرع بالطريقة البدائية، وجميع أدوات الزراعة والحراثة وحتى المكاييل كانت كلها من صنع محلي كالمحراث البلدي (السكة) والنير والجارود والكابوسة، والسكة المفردة من حديد والسكة المجوزه من خشب. والمكاييل من المسحة والصاع والقدح ولوح الدراسة والمنشار الحديدية والصوانية.[٦٦]

ويقول الحاج أحمد الغول:

"على زمن أجدادي ما كانت حصيده وكانوا ينقلوا المحصول عن طريق عربات الخيل، أما على أيامنا فكانوا ينقلوا المحصول على الجمال، وأدوات الزراعة عندهم الحصادات والمحراث على الخيل والبقر. أول تراكتور دخل البلد كانوا يجيبوه بالايجار، وبالنسبة

للبذور ما كنا نشتريها لأنه كنا نخلي شوي منها للموسم الثاني وكنا نستعمل سماد طبيعي وكان في عنا أمراض زراعية منها الحمرة وهي حشرة بتمص عصرات الحبة ".[٦٧]

وتقول الحاجة عفيفة الغول:

"شغل المرة بقى كثير لأنو المرة كانت تحصد وتحرث وتغمر وتزرع الكرسنه والقمح والشعير والحمص وغيرها ".[٦٨]

ولم تظهر حركة عمالية في الكفرين الا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، حينما شرع الإنجليز بإنشاء الموانئ والجسور والحصون خوفا من نزول الألمان فيها. وقد عمل بعض أهالي الكفرين في الوظائف الحكومية في عهد الانتداب البريطاني وانخرطوا في سلك الجندية والشرطة، أو العمل في المنشآت الصناعية.[٦٩]

الفصل الخامس:

النكبـة والتهجيـر

الكفريـن في عهد الانتـداب:

لم يقم الفلسطينيون بثورة واحدة، ولكن قاموا بثورات متعددة، وما كانت النار لتخمد إلا لتعود أشد اضطراما. فقد تخللت سنوات الثلاثينات من القرن العشرين الماضي تظاهرات وانتفاضات وثورات تراوحت بين المد والجزر حسب الظروف والأوضاع السائدة في فلسطين، وكانت أشكال المقاومة السلمية من مظاهرات ومذكرات وعرائض هي التي تتصدر الموقف، فجاءت مقدمة للثورة العربية الكبرى في فلسطين عام ١٩٣٦.

يقول الحاج سلامة العماش:

"علاقة أهل القرية صارت اكثر عدائية مع اليهود بعد ثورة ١٩٣٦ لانو صارت تقوم مجموعة من شباب الكفرين بالهجوم على المستعمرات اليهودية القريبة علينا وبقت تصير معارك بينهم. [...] وقع شهيد من الكفرين اسمه صالح الناجي. ظروف استشهاده انو أجا جيش الإنقاذ بزعامة فوزي القاوقجي وجماعة من المنسي والكفرين وصارت معركة بينهم وبين اليهود، وكان صالح الناجي يكبّر ويدعي على اليهود وفجأة قام جندي من جيش الإنقاذ فأطلق الرصاص على صالح الناجي بالعمد".

وأكمل الحاج سلامة كلامه وهو يبكي بحرارة:

"وبعد ما انتهت المعركة مع اليهود قام هذا الجندي من جيش الإنقاذ بالخبط على رقبة الناجي وبقى بدو يقطع راسه لولا الناس اللي كانوا معه من الغبية والمنسي وقالوا له لو يدروا الناس بالكفرين شو بدك تعمل بأبنهم إلا يقطعوك شقفة شقفة ويرموك للكلاب ولما سمع الجندي هالحكي اخذ بارودة صالح وراح باعها وبعدين أجا أهل البلد وأخدوا ابنهم وصمموا يعرفوا اللي صار مع ابنهم. قلهم الزلمة من الغبية القصة كيت كيت واللي قتلوا زلمة من جيش الإنقاذ. أجا جندي من جيش الإنقاذ وقال لأهالي الكفرين انو اللي قتل صالح واحد من جيش الإنقاذ ومن سوريا وقلهم بدي اطلع أنا وياه دورية بتلحقوا وبتذبحوه وطلع هذا الزلمة يهودي وراح قال للجندي القصة انهم بدهم يلاقوه ويذبحوه. راح الجندي للقاوقجي وتحامى فيه وقرر فوزي القاوقجي انو يبعتو على جبع جرّار. عرفوا أهل القرية بالقصة وراحوا عند القاوقجي وقالوله ما بنطلع من هون الا لما يوخدوا البارودة. وبعد تصميم كبير اعطوهم البارودة وراحوا دفنوا شهيدهم...".

"...كل الناس بقت تشارك في الثورة صغيرها وكبيرها. في ناس كبار في السن كانوا

يحملوا سلاح ويقاتلوا. ما كان في عملاء في القرية ولم يقتل احد في هذي التهمة وكل الناس كانوا يد وحدة في الحرب. [...] كان في شاب اسمه محمد الخالد وكان وحيد امه، راح مع مجموعة من الشباب على مستوطنة واشتبكوا مع اليهود هناك واستشهد وهو يقاتل اليهود، اجى اهله جابوه من المستوطنة ودفنوه بسرعة جوا مغارة خوف من اليهود يشكوا في مكان دفنه ويوخذوه. ووصل الخبر لليهود انوا محمد مقتول اجوا على رعيان البلد وسألوا واحد منهم وقال لهم انو ما بعرف هذا الزلمة، قال الجندي ولو معقول انتو اهل بلد وحدة وصار يمدح في الراعي ويحكي معه حكي حلو. وبالآخر قال الراعي بدك تعرف وين محمد خالد تعال وامسك الجندي اليهودي وظل يضرب فيه وقله ازا بشوفك هون مرة ثانية بطلع روحك. قام الجندي راح على البلد وقال للناس هيك هيك عمل فيّ الراعي لفلاني، وأنا لازم اعرف وين خبيتوا محمد الخالد ردوا عليه الناس وقالوله شو ما بدك تعمل اعمل مش رايحين نخاف".[٧٠]

أما الحاج احمد الغول فيقول:

"اقرب مستوطنة علينا كانت هي (عين هاشوفيم) وعملوها سنة ١٩٣٣ وحصلوا على أراضي عن طريق البكوات، وما اخذوا شي بالغصب كله اشتروه مشترى. وكانت هذي المستعمرة عبارة عن كيبوتسات تعتمد على الزراعة، وما اشتغل حد من أهل الكفرين فيها. وفي ثورة ١٩٣٦، دمرونا في الاضرابات اللي كانوا يعملوها بأمر من أمين الحسيني، يعني بطل يبيع الفلاح البيض والجاج والقمح والسمسم وكل الخضرة والفواكة، كل الوقت اضراب ٦ شهور واحنا مضربين وبعد ما ذقنا الويل من الاضراب فكوا الاضراب وما استفدنا منو اشي...".

"...بعدين أجا نوري السعيد عمل الكتاب الابيض، وأجا أمين الحسيني قال كل اشي من عند نوري السعيد ما بدنا ياه. كان المختار في القرية كان دوره تلقي الأوامر لإنو كان معتمد وممثل الحكومة. وفي مرة طوَّق الإنجليز بلدنا وكان في زلمة مجنون ماشي في الشارع نادوا عليه مرة مرتين ما رد عليهم، قاموا أطلقوا النار عليه ومات. اجوا للمختار وقالوا له قتلنا واحد في البساتين وكانوا في البلد مطلعين الزلام لحال والنسوان لحال. وكان الناس يشوفوا المختار بيعيط كثير وهمي مستغربين لانوا كانوا الانجليز محذرينوا ما يحكي اشي الا لما يطلعوا من البلد وينسحبوا، وبعد ما انسحبوا قلهم المختار انو رشيد مقتول في البساتين وبعدين ما خلوا ولا زلمة في البلد كلهم ودوهم على كركوك، وما خلوا في البلد الا النسوان والاولاد الصغار".[٧١]

ويقول الحاج أمين صدقي:

"من كثر ما عملت فينا بريطانيا من تفتيش البيوت وتخريبها ولم السلاح من الزلام، اضطرينا انه نطلع من الدور على الجبال عشان انحاربهم".[٧٢]

لأهالي الكفرين ذاكرة متناقضة عن مجريات الحرب العالمية الثانية ولهم مواقف مختلفة تجاه القيادة الفلسطينية آنذاك. يقول الحاج أحمد الغول:

"في القرية كان تنظيم النجادة، وانه هاي التنظيمات كانت مجرد أسماء بلا أفعال وما كانت تعمل إشي. عمي كان أكثر واحد معروف من ناحية السياسة وبقى يجيب الجريدة كل يوم وأسمه، عبد الله اليوسف".[٧٣]

نكبة فلسطين عام ١٩٤٨:

كانت الحركة الصهيونية قد أعدت العدة لاحتلال كامل أجزاء فلسطين بعد جلاء قوات الانتداب البريطاني عنه. وتجلى ذلك بوضع خطط استراتيجية منذ عام ١٩٤٢، وهو عام إنشاء الجيش اليهودي "الهاغاناه" في أعقاب مؤتمر "بلتيمور" في نيويورك، وببناء المستعمرات اليهودية ورفدها بالمهاجرين الجدد، والعمل على التواصل الجغرافي لهذه المستعمرات. وفي السياق ذاته، وضعت القيادة الصهيونية خطة عسكرية يهودية للاستيلاء على فلسطين (خطة د) خططت لها واعدتها الهاغاناه بهدف السيطرة على السلطة وعلى جميع البلاد، وفي البداية السيطرة على السلطة ضمن حدود قرار التقسيم وحماية المستعمرات الصهيونية وتدمير القرى العربية قربها وتهجير السكان الفلسطينيين الأصليين، وحصار المدن العربية لتفريغها من أهلها العرب.

يقول الحاج أحمد الغول:

"قرار التقسيم اجا من غير ارادة الناس. وفي الأرشيف الروسي ذكر انهم اوجدوا المخيمات اللاجئين قبل ما يلجأوا، يعني مثلا معظم أراضي الروحة يلجئوهم على مخيم طولكرم ومخيم جنين يعني يصير تبادل. احنا يقيمونا من هاي لبلاد ويهجرونا على مخيم طولكرم وجنين ويحطوا محلنا اليهود. الكفرين استعدت للقتال وجهزت سلاح وذخيرة، لكن تصوري حياة الفلاح، يعني كانت خمس طلقات بنص جنيه، وكنا نشتريهن من بقايا اللي كانوا يروحوا من الحرب العالمية الثانية في سينا، وكانوا يشتروا أسلحة ايطالية ومن المصاروة والسورين، واحنا كنا نشوف العصا احسن من البندقية. بس اليهود كانوا مجهزين وكان عندهم مصانع للذخيرة والأسلحة. [...] قبل ما نلجأ، الروحه كلها ما قدرت تمول الرشاش لمدة ساعتين. وهذا الرشاش بضرب في الدقيقة الف طلقة".[٧٤]

ويضيف الحاج أحمد الغول:

"أجا يهودي على البلد عند عمي شاكر وقاله انتوا عندكم يا شاكر مثل بيقول الترحيل من دار لدار خراب ديار. وانت بتعز علي، انتو ارضكم محرمة علينا، وارضنا حلال عليكم، بدكم

تعيشوا بسلام مش رايحين نيجي فيكم واذا بدكم تقاتلونا بنقاتلكم. لكن عمي شاكر ما أمن اله. ودارت الأيام، وأجا اليهودي مرة ثانية على البلد، وتحاور هو وعمي وقالوا عمي: والله إلا أوخذ الدار الفلانية من القبانية [المستوطنة]، فرد عليه اليهودي وقالو شاكر دارك اللي انت فيها إلا اوخذها منك وأوقف عليها وأقول لاي لاي. رد عليه شاكر وقاله لأوقف على دارك في القبانية وأقول أوف وعتابه. رد اليهودي وقالو هاي الأيام بينا وبتذكرنا. ولما استلم اليهود المثلث قال اليهودي بدي أشوف شاكر، ولما راح عنده قلو مين اللي قال لاي لاي ومين اللي قال أوف وعتابا؟".

ويكمل الحاج أحمد الغول حديثه:

"تعرضت الكفرين للهجوم أول مرة في شهر نيسان ١٩٤٨، وبقوا اليهود بخافوا، والله انه ٧–٨ من قريتنا ردوا الجيش، بس بالآخر ما ظل معنا ولا ذخيرة. وفي اليوم الثاني اللي طلعنا فيه هاجموا البلد ونسفوها وكان تاريخ نسفها في ٩/ ٤/ ١٩٤٨، وحنا طالعين كانوا اليهود محوطين البلد وكنا نمر من تحت بارودهم وهمي مسلطين علينا البارود. ولو كانوا بدهم يطخونا كان طخونا، بس كان هدفهم يهجرونا. وفي واحد من أهل البلد استشهد وأسمه السفياني، وصارت المعركة بين اليهود والقاوقجي وكان واقف السفياني على سطح الجبل المطل على أغلب مواقع الروحة، وأحنا نقوله إرجع إرجع وما رد علينا، قاموا اطلقوا عليه النار براسه واستشهد على المطرح".[٧٥]

الرحيل:

يقول الحاج أحمد الغول:

"ما أخذنا أي إشي معانا، لانه جريدة الدفاع وفلسطين كانت توهم الناس بانهم راح يخرجوا لمدة أسبوع فقط. طلعنا من البلد على الدواب ورحنا على أم الفحم واستقبلونا بحفاوة وكانوا انسانيين كثير معانا، يعني لما بقوا يشوفونا كثار في البيت الواحد كانوا يدبرولنا بيت ثاني. وبعد أم الفحم رُحنا على جنين وبعد جنين جينا على مخيم نور شمس. تركنا جنين لانه في يوم واحنا بجنين كان الجو عاصف وصارت رياح وزوابع وأمطار قلعت الخيم كلها وصفينا بدون خيام والدنيا ريح ومطر، أجا الصليب الأحمر وكان معاه سيارات وحطونا فيها ورحلونا على هون".[٧٦]

ويتابع الحاج أحمد الغول قوله:

"كان وضعنا مأساوي كثير، وكانت وكالة الغوث تعطينا مساعدات وبعد فترة اشتغلت بالتجارة وصرت أبيع واشتري. الناس كانوا يبيعوا من السكر والرز مثلا علشان يسدوا النقص في المواد الثانية. قسم كبير من أهالي الكفرين خاصة من عائلة الغول هاجروا الى

الاردن وبعضهم الى السعودية وقطر وقسم منهم في الضفة ودير الغصون وجنين ومخيم الفارعة".[٧٧]

الحنيـن الى الكفريـن:

يقول الحاج أحمد الغول:

"انا بحب الكفرين وبحب اني ارجعلها، وهيي حرة عربية فلسطينية مش تابعة لليهود. كل اشي في الكفرين كان حلو، كان طقسها حلو وخيرها كثير وكل الأكلات اللي بنموت لما انلاقيها كنا دايما نطبخها، زي الخبيزة، اللسينة، اللوف، العكوب، العلك، الزعمطوط، الحويرة، الحميظ وغيرها. أنا دخلت عليها أكثر من مرة، واليهود ما بنوا فيها ولا اشي وبقيت مثل ما هي، بس عملوها مزارع للبقر. يعني كل ٣٠٠–٤٠٠ دونم يسيجوها ويعملوها مزرعة للبقر. ومرة وإحنا بالكفرين لما زرناها كنا قاعدين نفطر، وكان معانا واحد من جوه، قام ضيعنا واحنا قاعدين بندور عليه، واجوا علينا اليهود، وقالوا شو بتعملوا هون ؟ قولنالهم زيارة. قالوا اذا بضلوا ثانية وحده هون بنقتلكم فرحت عند أهلي وقولتلهم قوموا بدنا نروح. واحنا مروحين قلت للجندي اليهودي ما تنسى إنو هاي الأرض النا ولا بد إنا نرجعها في يوم من الأيام".

من الجدير بالذكر أن الكثير من أهالي الكفرين منخرطون في العمل الوطني الفلسطيني، وكثير من أبناء الرواه قد اعتقلوا من قبل الاسرائيليين نتيجة نضالهم، ويشارك عدد منهم في مؤسسات تعنى بقضية اللاجئين وحق العودة.

الخاتمة

توصل هذا البحث على عدد من النتائج وأبرزها:

أولاً: الكفرين قرية عربية من القرى المُهمة التي تقع في قضاء حيفا وتعتبر من اكبر قرى الروحة مساحة وسكانا.
ثانياً: كثرة عيون الماء والأودية في قرية الكفرين، وهي تتمتع بأرض مغلال وسهول خصبة ترتع بها آلاف الأبقار والأغنام.
ثالثاً: قرية الكفرين قرية عريقة لها جذور ضاربة بالقدم تعود إلى العصر الروماني والدليل على ذلك وجود بعض الآبار الكفرية الرومانية.
رابعاً: لا توجد في الكفرين طرق معبدة ولا سيارات، وفيها مدرسة ابتدائية واحدة بُنيت عام ١٨٨٥، وفيها مسجد واحد، ويقطنها أكثر من ٢٠ عائلة صغيرة.
خامساً: التراث الشعبي في قرية الكفرين جزء من التراث الشعبي الفلسطيني الذي لا يعرف الحدود الشائكة.
سادساً: مشاركة بعض أهالي الكفرين في ثورة عام ١٩٣٦ واستشهاد عدة شباب منها.
سابعاً: سيطرة اليهود على أراضي الكفرين مثلها مثل باقي مدن وقرى فلسطين عام ١٩٤٨، جعلوا القرية كومة من الحجارة، وأزيلت كل معالمها الحضارية.
ثامناً: نكبة عام ١٩٤٨ لم تزد أهالي الكفرين إلا العزم والتقدم في كافه الأوجه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وكذلك الحنين للوطن والإصرار على العودة إلى الكفرين والبلاد الأصلية التي نشأوا وتربوا وعاش فيها آباؤهم وأجدادهم.
تاسعاً: تحتاج بعض الروايات تمحيصا وخاصة أن بعض الرواة يلجئون للمبالغة في أقوالهم ومدح ذاتهم وأقاربهم وتبييض صفحتهم التاريخية.

ملحق الصور:

نساء يغربلن الحنطة في باحة بيت في قرية الكفرين، ١٩٤٥ . (المصدر : www . nakbainhebrew . org)

منظر عام لأراضي القرية، شباط ٢٠٠٧ . (المصدر : www . nakbainhebrew . org)

أديب النجمي، مختار القرية، ١٩٤٥ .
(المصدر : www . nakbainhebrew . org)

مسيرة العودة السنوية، شباط ٢٠٠٧ . (المصدر : www . nakbainhebrew . org)

الهوامش:

١ الغول، غالب. الكفرين، حيفا والرصيفة. مؤسسة انوار الفجر، ١٩٩٧، ص ١٤.
٢ الخالدي، وليد. كي لا ننسى، الطبعة الاولى. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٧، ص ١٣٣.
٣ توجد قرية أخرى تُسمى الكفرين بالقرب من نهر الزرقاء.
٤ الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، المجلد الثاني، الطبعة الاولى، دمشق، ١٩٨٤، ص ٦٥٨.
٥ الشراب، محمد حسن. معجم بلدان فلسطين، الطبعة الثانية، الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٦. ص ٦٣١.
٦ مقابلة مع الحاج أحمد الغول، ٧٧ عاما، مخيم نور شمس، ٨/ ١١/ ٢٠٠٦.
٧ الغول، غالب. مصدر سبق ذكره. ص ١٢.
٨ الموسوعة الفلسطينية القسم العام، المجلد الثالث، الطبعة الأولى، ١٩٨٤، ص ٦٥٨.
٩ مقابلة مع الحاج أحمد الغول. مصدر سبق ذكره.
١٠ الدباغ، مصطفى مراد. بلادنا فلسطين، الجزء الحادي عشر، الطبعة الرابعة، بيروت: الطليعة، ١٩٨٨، ص ٦٥٠؛ الخالدي، وليد. مصدر سبق ذكره، ص ١٣٣.
١١ الغول، غالب. مصدر سبق ذكره، ص ١٢٤.
١٢ المصدر السابق، ص ٢٢.
١٣ مقابلة مع الحاج أحمد الغول، مصدر سبق ذكره.
١٤ مقابلة مع أحمد أبو سريس، ٧٩ عاما، مخيم نور شمس، ٣٠/ ١١/ ٢٠٠٦.
١٥ المصدر السابق.
١٦ عويدات، حسين. موسوعة المدن الفلسطينية. بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية- دار الثقافة.
١٧ مقابلة مع الحاج أحمد الغول، مصدر سبق ذكره.
١٨ سرحان، نمر. الفلكلور الفلسطيني، الجزء الأول، الطبعة الثانية. عمان، ١٩٨٠، ص١٣٣.
١٩ ومن هذه الأمثلة: "فش مثل بيتك يا إنسان"؛ "يا بيتي يا بويباتي يا مستر عويباتي فيك، بوكل وبشرب وفيك بكبر لقماتي"؛ "ريت هالبيت يظل مفتوح والحبايب تيجي وتروح"؛ "البيت اللي رباني ما راح وخلاني".
٢٠ مقابلة مع صدقي أمين الغول، ٧٧ عاما، مخيم نور شمس، ٨/ ١١/ ٢٠٠٦.
٢١ مقابلة مع أحمد الغول، مصدر سبق ذكره.
٢٢ كان فراش الفلاح يتألف من: فَرْشات وهي حشايا من الصوف، ولُحُف وهي أغطية محشوة من الصوف، ووسَايد (جمع وسادة) وهي حشوة صغيرة توضع تحت الراس أثناء النوم، ومساند وهي حشايا من القش تغلف بالقماش. أنظر: سرحان، نمر. مصدر سبق ذكره، ص ١٥٨.
٢٣ مقابلة مع أحمد الغول، مصدر سبق ذكره.
٢٤ مقابلة مع صدقي أمين الغول، مصدر سبق ذكره.
٢٥ الغول، غالب. مصدر سبق ذكره، ص٣٧.
٢٦ المصدر السابق، ص ٣٩.
٢٧ الخالدي، وليد. مصدر سبق ذكره، ص ١٣٣.
٢٨ الدباغ، مصطفى مراد. مصدر سبق ذكره، ص ٦٥٠.
٢٩ مقابلة مع أحمد الغول، مصدر سبق ذكره.
٣٠ الغول، غالب. مصدر سبق ذكره.
٣١ مقابلة مع أحمد الغول، مصدر سبق ذكره.
٣٢ مقابلة مع رقية الغول، ٧٧ عاما، مخيم نور شمس، ٨/ ١١/ ٢٠٠٦.
٣٣ مقابلة مع أحمد الغول، مصدر سبق ذكره.
٣٤ مقابلة مع سلامة عماش، ٩٥ عاما، مخيم نور شمس، ٢٧/ ١١/ ٢٠٠٦.
٣٥ مقابلة مع أمين صدقي، مصدر سبق ذكره.
٣٦ الغول، غالب. مصدر سبق ذكره، ص ٣٧.
٣٧ مقابلة مع أحمد الغول، مصدر سبق ذكره.

٣٨ مقابلة مع أحمد أبو سريس، مصدر سبق ذكره.
٣٩ مقابلة مع أمين صدقي، مصدر سبق ذكره.
٤٠ مقابلة مع سلامة الغول، ٩٥ عاما، مخيم نور شمس، ٨/ ١١/ ٢٠٠٦.
٤١ مقابلة مع أحمد الغول، مصدر سبق ذكره.
٤٢ سرحان، نمر. مصدر سبق ذكره، ص ١٠٨.
٤٣ للمزيد أنظر: الغول، غالب. مصدر سبق ذكره، ص ٣٧.
٤٤ مقابلة مع أحمد الغول، مصدر سبق ذكره.
٤٥ مقابلة مع صالحة العلي، ٧٦ عاما، مخيم نور شمس، ٣٠/ ١١/ ٢٠٠٦.
٤٦ المصدر السابق.
٤٧ مقابلة مع عريفة سمارة، ٧٧ عاما، مخيم نور شمس، ٣٠/ ١١/ ٢٠٠٦.
٤٨ مقابلة مع أحمد أبو سريس، مصدر سبق ذكره.
٤٩ مقابلة مع أحمد الغول، مصدر سبق ذكره.
٥٠ مقابلة مع عفيفة الغول، ٨٠ عاما، مخيم نور شمس، ٣٠/ ١١/ ٢٠٠٦.
٥١ مقابلة مع أحمد الغول، مصدر سبق ذكره.
٥٢ مقابلة مع أحمد أبو سريس، مصدر سبق ذكره.
٥٣ سرحان، نمر. مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٥.
٥٤ الغول، غالب. مصدر سبق ذكره، ص ٣٩.
٥٥ المصدر السابق، ص ٤٢.
٥٦ مقابلة مع احمد الغول، مصدر سبق ذكره.
٥٧ الغول، غالب. مصدر سبق ذكره، ص ١٦.
٥٨ مقابلة مع احمد الغول، مصدر سبق ذكره.
٥٩ الخالدي، وليد. مصدر سبق ذكره، ص ١٣٣.
٦٠ الدباغ، مصطفى مراد. مصدر سبق ذكره، ص ٦٥٠.
٦١ الغول، غالب. مصدر سبق ذكره، ص ١٨.
٦٢ مقابلة مع احمد الغول، مصدر سبق ذكره.
٦٣ الغول، غالب. مصدر سبق ذكره، ص ٢٠.
٦٤ الغول، غالب. مصدر سبق ذكره، ص ٢٢.
٦٥ مقابلة مع سلامة العماش، ٩٥ عاما، مخيم نور شمس، ٢/ ١٢/ ٢٠٠٦.
٦٦ الغول، غالب. مصدر سبق ذكره، ص ٢٥.
٦٧ مقابلة مع احمد الغول، مصدر سبق ذكره.
٦٨ مقابلة مع عفيفة الغول، مصدر سبق ذكره.
٦٩ سرحان، نمر. مصدر سبق ذكره، ص ١٠٨.
٧٠ مقابلة مع سلامة العماش، مصدر سبق ذكره.
٧١ مقابلة مع احمد الغول، مصدر سبق ذكره.
٧٢ مقابلة مع صدقي أمين، مصدر سبق ذكره.
٧٣ مقابلة مع أحمد الغول، مصدر سبق ذكره.
٧٤ المصدر السابق.
٧٥ المصدر السابق.
٧٦ المصدر السابق.
٧٧ المصدر السابق.

المصادر الاولية:

- الحاج احمد الغول، ٧٥ عاما، مخيم نور شمس، ٨/ ١١/ ٢٠٠٦ .
- الحاج أحمد ابو سريس، ٧٨ عاما، مخيم نور شمس، ٣٠/ ١١/ ٢٠٠٦ .
- الحاجة صالحة العلي، ٦٧ عاما، مخيم نور شمس، ٣٠/ ١١/ ٢٠٠٦ .
- عفيفة الغول، ٨٠ عاما، مخيم نور شمس، ٣٠/ ١١/ ٢٠٠٦ .
- عريفة سمارة، ٧٧ عاما، مخيم نور شمس، ٢/ ١٢/ ٢٠٠٦ .
- صدقي الغول، ٧٦ عاما، مخيم نور شمس، ٢/ ١٢/ ٢٠٠٦ .
- رقية الغول، ٦٥ عاما، مخيم نور شمس، ٢/ ١٢/ ٢٠٠٦ .
- سلامة العماش، ٩٥ عاما، مخيم نور شمس، ٨/ ١١/ ٢٠٠٦ .
- عبد الرحمن أبو ناهية، ٧٤ عاما، مخيم نور شمس، ٨/ ١١/ ٢٠٠٦ .

المصادر الثانوية (المصادر والمراجع):

- الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، المجلد الثالث، الطبعة الاولى، دمشق، ١٩٨٤ .
- الغول، غالب. الكفرين، حيفا والرصيفة. مؤسسة انوار الفجر، ١٩٩٧ .
- عودة، أحمد عبد الرحمن. قصة مدينة حيفا، سلسلة المنار الفلسطينية، ١٩٩٤ .
- الدباغ، مصطفى مراد. بلادنا فلسطين، الجزء الحادي عشر، الطبعة الرابعة، بيروت: الطليعة، ١٩٨٨
- الخالدي، وليد. كي لا ننسى، الطبعة الاولى. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٧ .
- عويدات، حسين. موسوعة المدن الفلسطينية. بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية-دار الثقافة، ١٩٩٠ .
- سرحان، نمر. الفلكلور الفلسطيني، الجزء الأول، الطبعة الثانية. عمان: ١٩٨٩ .
- الشراب، محمد حسن. معجم بلدان فلسطين، الطبعة الثانية، الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٦ .
- ابو الحجر، أمنة. موسوعة المدن والقرى والفلسطينية المُدمرة. دار اسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣ .
- الخطيب، محمد نمر. نكبة فلسطين، الطبعة الثانية، بيروت: مكتبة الحياة، ١٩٦٧ .
- التل، عبد الله. كارثة فلسطين، الطبعة الثانية، مطبعة دار الهوى، ١٩٩٠ .
- علاونه، كمال. فلسطين عربية مسلمة، مؤسسة الاسراء العربي، ٢٠٠٦ .
- الشاعر، محمد. الحرب الفدائية في فلسطين، الطبعة الثالثة، بيروت.
- العلمي، احمد. حرب ١٩٤٨، طبعة ١٩٨١ .
- زعتير، اكرم. القضية الفلسطينية، مصر: دار المعارف، ١٩٥٥ .